الدكتور ألن تايلر

تاريخ الحركة الصهيونية

(الجزء الثاني)

تحليل للدبلوماسية الصهيونية

١٨٩٧ - ١٩٤٧

ترجمة

بسّام أبو غزالة

دار الطليعة - بيروت

تاريخ الحركة الصهيونية

تحليل للدبلوماسية الصهيونية

١٨٩٧ - ١٩٤٧

الطبعة الأولى
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦

الدكتور ألن تايلر

تاريخ الحركة الصهيونية

تحليل للدبلوماسية الصهيونية

١٨٩٧ - ١٩٤٧

ترجمة

بسّام أبو غزالة

منشورات دار الطليعة - بيروت

هذه ترجمة كاملة لكتاب

Prelude to Israel

An Analysis of Zionist Diplomacy
1897 - 1947

by
Alan R. Tayler

Philosophical Library, inc. ' 15 East 40 Str. ,
New York , 1959

مقدمة

إن الغرض من هـذا الكتاب هو تحليل طبيعة الصهيونيـــة وإعطاء صورة صادقة للحركة وهي تعمل ، وذلـك بالتركيز على نشاط قيادتها الدبلوماسي. إنه كشفٌ لنشأة هذه الحركةالسياسية وصياغتها لهدفها وتطبيقها سياسة رسمت لتحقيق ذلك الهدف . إنه تفحص الظاهرة السياسية الحديثة للصهيونية في إطار تاريخي وعرض لوحدة مقصدها وترابط عملها . إنه إلقاء ضوء على قصة النشاط الصهيوني السياسي بكاملهـا ؛ لأن من واجب المؤرخ أن يعنى في موضوعه بوضوح الروايـــة وتمامها . فمهمته هي إعطاء صورة حقيقية لذلك الموضوع . وهو في شروحه إنما يبين العلاقة بين الحقائق . ولكنه لا يصدر حكماً أخلاقيـــاً عليها . ولئن كانت قصة الدبلوماسية الصهيونيـة اليوم غامضة فـــإن مجرى التحقيق التاريخي المحتم سيجعلها غير ذلك . وإنه لذلك الواجب قد كرّس هذا الكتاب .

ولهذا الكتاب أيضاً غرض ثانوي . فهو لا يرمي إلى إيجـاد

مفهوم أوضح لطبيعة الصهيونية وتاريخها وحسب . ولكنه إلى ذلك يبدد بعض المفاهيم الخاطئة حول الحركة . مثال ذلك أن الصهيونية كثيراً ما تعتبر حركة دينية . وواقع الأمر أنها علمانية أساساً . إذ كذلك يعتبرها قادتها . فالصهيونية جواب للقضية العلمانية : اللاسامية . وحجتها الأساسية أن الحل الوحيد لهذه المشكلة هو خلق دولة يهودية وإضفاء الصفة القومية على اليهودية . وبمعنى أعمق ، إنها رد فعل اليهود في شرقي أوربا لحياة «الغيتو» في روسيا وبولندا وألمانيا : فهنا ابتدأت الحركة ، لا في الغرب ، حيث تمت خطوات واسعة لاستيعاب اليهود . على أنه مع مضي الوقت انتشرت الحركة لأن مؤسسيها قد تحققوا من أنهم لن يستطيعوا تبرير حجتهم من غير مساندة يهود العالم. وقد استعمل الصهاينة في بحثهم عن مساندة اليهود فكرة « العودة »الخيالية . وهذه ذات استجابة عاطفية عند جميع اليهود. ومن هنا اختلطت الصهيونية خطأً باليهودية . ولكن هذا لم يغير من جوهر الصفة العلمانية للحركة الصهيونية .

وثمة مفهوم خاطىء آخر يرمي هذا الكتاب إلى تقويمه وهو ما يتعلق بالكيفية التي قامت بها إسرائيل . فكثير من يعتقد أن إنشاء هذه الدولة كان حادثاً عفوياً تماماً ، ونابعاً من اشتياق اليهود المتوارث للعودة إلى فلسطين . على أن البحث التاريخي يفضي إلى أن خلق إسرائيل كان نتيجة تخطيط صهيوني وجهد منظم. ففي سنوات هذا القرن الباكرة، لم يعر فكرة الصهيونية اهتماماً فعالاً سوى قلة من يهود العالم . ولم تعطف أغلبية اليهود

على الصهيونيـــة إلاّ بعد الحرب العالمية الثانية . إنـــه النشاط الصهيوني ذلك الذي لم يجتذب اليهود إلى الحركة وحسب، ولكنه أيضاً مهد السبيل إلى دولة يهودية من خلال عمـــل مادي . ولن يكون إنصافاً لقادة الصهيونية المـاضين أن ننكر عليهم زعمهم الحقيقي بأنهم صنعوا إسرائيل بأيديهم هم .

لقد كانت النشاطات التي خطط لها ونفذها قادة الصهيونية مرجعاً لنا في هذا الكتاب. ولا بد من الإشارة إلى أنه من المحال أحياناً أن نثبت أن مثل هذا التخطيط والتوجيه قد حدثا بمجرد الرجوع إلى وقائع اجتماعات صهيونية على مستوى عالٍ ، أو إلى وثائق نشرها القادة الصهيونيون . غير أنـــه من الممكن افتراض ذلك التخطيط والتوجيه حين يشير كل دليل إلى وجود عمـــل منسق وتوجيه للسياسة . كذلك لا يعود مستهجناً أن الصهيونية قد بقيت موحدة وموجهة ، رغم انقسام الحركة بشكل دائم إلى أجنحة . فهناك اختلاف في الرأى داخـل الصهيونية ، ولكن هناك أيضاً ودائماً قيادة توجه الحركة إلى تحقيق أهدافهـــا التي أسست بوضوح وثبات عند نشأتها .

هنـاك ملاحظة أخرى تتعلق بطبيعة الصهيونيـــة ، يجب إبداؤها لتجنب الالتباس في ذهن القـــارىء . ففي السنوات الباكرة للحركة كان ثمة نوعان من المؤيدين : الساعين وراء أهداف ثقافية والساعين وراء أهداف سياسية . فأما الصهاينة الثقافيون فقد اهتموا بشكل أولي بإحياء الثقافة العبرية ، وبارتباط اليهود بتاريخ فلسطين لغوياً ودينياً وجنسياً. وأما الصهاينة السياسيون

فقد عنوا بالمشكلة اليهودية ، وكانت فلسطين بالنسبة لهم أفضل الأماكن منطقياً لإقامة دولة قومية لليهود . بل إن بعض الصهاينة السياسيين الأوائل لم يصروا على فلسطين. وهذه حقيقة تظهر أن اهتمامهم بخلق قومية يهودية أعظم بكثير من اهتمامهم بالثقافة اليهودية وبفكرة « العودة » الخيالية . وحين نظمت الصهيونية في السنين الأخيرة من القرن التاسع عشر فاز المؤيدون السياسيون بقيادة الحركة . لذلك فإن كلمة « الصهيونية » في هذا الكتاب ، إن لم يحدد تعريفها ، تعنى ما يجب أن يدعى بشكل أدق « الصهيونية السياسية » .

يشكر المؤلف مساعدة نسيبته فيليس هوفمان تايلر التي لم تكتف بطبع مخطوطة الكتاب ، ولكنها أبدت كثيراً من الاقتراحات المساعدة . ويشكر المؤلف كذلك التوجيه الدقيق والاقتراحات المتعلقة بالاسلوب التي أبداها السيد ريتشارد نورمان تيتلي ، مؤسس مكتب المعلومات الأمريكي في إسرائيل . فقد جعلت موضوعية السيد تيتلي ومعرفته الخاصة بالموضوع (جعلت هذه) منه مرشداً لا يقدر ومساهماً حقيقياً في نشر هذا الكتاب. ونشكر كذلك مساعدة الأستاذ جورج كيرك ، من جامعة هارفارد الذي أبدى كثيراً من التصحيح والاقتراحات . غير أن كل تفسير وتعليق صادر كلياً عن المؤلف . أما صور القادة الصهيونيين فقد استحصلت بإذن من « الوثائق والمكتبة الصهيونية » التابعة لمؤسسة الصندوق الفلسطيني . وأخيراً يعرب المؤلف عن تقديره للجهود المضنية التي بذلتها زوجته ، ليديا

شورمان تايلر . فقد كانت مساهمتها في تحضير مخطوطة الكتاب أبعد من داعي الواجب .

واشنطن أ. ر. ت.

الفصل الأول

تكوين الأهداف والسياسة الصهيونية

بوادر الصهيونية السياسية

بقيت فكرة الصهيونية مدة قرون من الزمن وجهاً من وجوه الفكر اليهودي المسيحي[1] . فقد نشأت في الفكر اليهودي نتيجة اتحاد اليهودية بمملكة العبريين الغابرة في فلسطين. ونشأت في الفكر المسيحي منذ عهد كرمويل حين كان الاعتقاد بأن حكم المسيح على الأرض لألف سنة سيصحبه استعادة اليهود لفلسطين.

بيد أن الصهيونية ، كحركة سياسية ، ابتدعت في القرن التاسع عشر . وإن اهتمام المفكرين في المئة والخمسين سنة الماضية بعلم الاجتماع والدين ، وقيام دول مثالية قد أدى إلى تحسين حالة اليهود في أرض الشتات[2] وإلى تطوير فكرة الاسترداد . وقد يبدو ، للوهلة الأولى ، أن تحسين وضع اليهود الذي وصل أوجه

حين اعترف بسمارك بتحريرهم عـام ١٨٧١ [٣] ، يجب أن يفضي إلى حل المسألة اليهودية في أرض الشتات ، وإلى استيعاب اليهود في المجتمعات غير اليهودية التي ولدوا فيها .

إلا أن عقبتين لهذا الاحتمال بدأتا في الظهور . فقد كان فيما بين اليهود أنفسهم مقاومة ثابتة لنشوء ما قد يعنى فقدانهم لهويتهم كشعب[٤] . وكما عبر عنها ناحوم غولدمان : « إن الغرض من الدولة اليهودية هو الحفاظ على الشعب اليهودي، وهو أمر أوقعه التحرير والاستيعاب في خطر ... » . وفي البلاد المسيحية أدى الإحلال التدريجي للقومية العنصرية في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر محل الحماس الديني في الجزء الأول من ذلك القرن إلى مقاومة استيعاب اليهود[٥] .

وكان اغتيال قيصر روسيا ، ألكسندر الثاني ، سنة ١٨٨١ هو الحدث الذي أشعل شرارة الانفصالية عند اليهود، واللاسامية عند الأقوام الأخرى . فقد جعلت السلطات الروسيه من اليهود ضحية هذا الاغتيال وشجعت التسرع في المذابح المخجلة[٦] . وعلى أثر هذا الثوران اللاسامي كان خروج جماعي لليهود من روسيا وحظر عليهم التوطن في بولندا [٧] . وقد عاد معظم اليهود وتوطنوا في أوربا الغربية وفي أمريكا، ولكن حوالي ثلاثة آلاف منهم هاجروا إلى فلسطين[٨] . وفي سنة ١٨٨٢ أسس هؤلاء المهاجرون مستعمرة قرب يافا أسميت رشون لزيون (Rishon - le - Zion) [٩] . وقد شهدت نفس السنة إنشاء حركة في روسيا عرفت باسم شبث زيون Chibbath Ziou (حب صهيون)[١٠] .

ونظم أتباع شبث زيون أنفسهم في جمعيات – شوفيفي زيون (أحبـــاء صهيون)[١١] – وجاءوا بفكرة استيطان فلسطين وإحياء اللغة العبريـة . وهكذا نبتت أولى بذور الصهيونيـــة السياسية .

وأخيراً توصلت جمعيات شوفيفي زيون إلى اعتراف رسمي بها سنة ١٨٩٠ باسم جمعية دعم الزراعيين والحرفيين اليهود في فلسطين وسوريا[١٢] . وقد كانت هذه المنظمة تحت قيادة ليو بنسكر، وهو واحد من مؤسسي شبّث زيون وأول من قدم فكرة الوطن القومي اليهودي ، الذي لم يكن من الضرورة إقامته في فلسطين. على أن المعارضة لهذه الصهيونية السياسية الوليدة كانت قد ظهرت سواء داخل الدوائر اليهودية أو خارجها . ففي الداخل ، خرج بثوب المعارضة كاتب يهودي اتخذ اسماً أدبياً مستعاراً هو آحـاد هاعام الذي دافع بالمقابل عن إحياء روحي صار يدعى بالصهيونية الثقافية[١٤] . وفي الخارج أصدر الباب (العـــالي) العثماني سنة ١٨٨٨ قوانين حرمت الهجرة اليهودية الجماعية إلى البلاد العثمانية وحددت دخول معظم اليهود الأجانب إلى فلسطين بثلاثة أشهر للحج[١٥] . وقد أفضى هذا إلى إحباط أي استعمار جـديّ من قبل اليهود الأوربيين لفلسطين . وأفضى إلى خيبة الأمـــل في خلق دولة يهودية ، تلك التي لم تجد دعمـاً قوياً إلاّ حين عرضت مرتبطة بفلسطين . وهكذا عقلت ولادة الصهيونيـــة السياسية المنظمة بانتظار ظهور مولدة قادرة .

هرتسل وأول مؤتمر صهيوني

كان هرتسل ، وهو يهودي مجري تلقى ثقافته في فينا ، هو الرجل الذي كان عليه أن يأتي بالصهيونية السياسية إلى العالم . ومع أن دراسة هرتسل كانت في الحقوق فإن موهبته في الكتابة قلدته منصب مراسل في باريس لجريدة Neue Freie Presse التي كانت تصدر في فينا . وقد كان يعمل في ذلك المنصب حين استرعت حادثة دريفوس (Dregfus Affair) سنة ١٨٩٤ انتباه أوربا . وكان ما انطوت عليه قضية دريفوس من لاسامية جعل هرتسل يؤمن بأن الجواب الوحيد للمسألة اليهودية كان خلق دولة يهودية . وقد شعر بأنه إن كان في الإمكان إثارة اللاسامية في فرنسا المتحررة ، فإنها أكيدة الظهور بقوة أعظم في البلاد الأخرى . لذلك ، ألف في صيف عام ١٨٩٥ منشوراً بعنوان Der Judenstatt (الدولة اليهودية)[١٦]، دعا فيه إلى استعمار يهودي للأرجنتين أو لفلسطين ، تدعمه بريطانيا ، مع النظر فيما يترتب على ذلك من خلق دولة قومية يهودية ذات سيادة .

ومجرد اعتبار هرتسل للأرجنتين كمكان منتظر لدولة يهودية يبدو متناقضاً في ضوء انشغال بال الصهيونية مؤخراً بفلسطين . على أنه يجب أن يفهم أن اهتمام هرتسل كان يكمن في حل مشكلة اللاسامية ، لا في تحقيق نبوءات اليهودية التقليدية[١٧] . وهكذا فإن الصهيونية السياسية كانت في مراحلها المبكرة حركة علمانية

جوهرياً . وقد بقيت صفتها الأساسية علمانية دائماً . أما إلماح الصهاينة فيما بعد لفكرة « العودة » الخيالية فقد أقحم على الحركة لجاذبية الفكرة العاطفية . لكن هذا لا يغير من حقيقة كون الصهيونية السياسية بصورة دائمة حركة عقلية لا مذهبية . فقد بحثت عن حل محدد لقضية محددة ، وليس عن تمجيد لمثال ديني عنصري .

أثار نشر كتاب **الدولة اليهودية** سنة ١٨٩٦ ردود أفعال محبذة ومعادية معاً ، سواء في الدوائر اليهودية أو في غيرها . غير أن هرتسل شعر بأن قطاعاً كبيراً من اليهود انجذب إلى فكرته ، فبدأ يضغط لحشد مؤتمر عالمي للصهاينة ، وهي فكرة اقترحها أصلاً مبتدع كلمة « الصهيونية » ناثان بيرنبارم [١٨] . وقد نجح هرتسل ، بمساندة من شاركوه آراءه ، في جمع أول مؤتمر صهيوني في بال، شهر آب ١٨٩٧. فكان هذا المؤتمر بالنسبة للحركة الصهيونية ما كان المؤتمر الدستوري بالنسبة للولايات المتحدة عند نشوئها . وقد أجمل هرتسل في خطاب الافتتاح غاية الاجتماع قائلاً : « إننا هنا لنرسي حجر الأساس للبيت الذي سيُظل الأمة اليهودية »[١٩] . وقد تضمن البرنامج الذي طرحه : (١) إيجاد استعمار يهودي لفلسطين ، منظم وعلى نطاق واسع ، (٢) الحصول على حق شرعي ، معترف به دولياً ، لاستعمار فلسطين ، (٣) إنشاء منظمة دائمة لتوحّد جميع اليهود من أجل قضية الصهيونية[٢٠] .

ما زال هذا الدستور هو الأساس الجوهري للسياسة

الصهيونية ، وإن عبر عنه بكلمات مختلفة وبتحديدات متغيرة في الستين سنة التالية. فكانت المشاكل الثلاث التي واجهت الصهيونية السياسية قبل إنشاء دوله إسرائيل هو الدخول الفعلي لعدد كافٍ من اليهود إلى فلسطين للتمكن من إقامة دولة تحت الأمر الواقع ، ومسألة مساندة الأمم الأخرى ، واكتساب الأغلبية من اليهود للقضية الصهيونية . ويلاحظ أيضاً أن شكلاً منقحاً من هذه السياسة وقد وجه الصهيونية حتى بعد عام ١٩٤٨[٢١]. وفي نقاط مختلفة نال كل واحد من هذه الأهداف السياسية الثلاثة ثقلاً خاصاً . ولكنها ظلت متطلبات سياسية متساوية الأهمية ومعتمداً بعضها على بعض . وبالرغم من قيام أجنحة تؤكد أحد المتطلبات على الآخر ، فإن الصهيونية ما فتئت مترابطة ، متحدة ، مستمرة ، لم تفتقد وضوح الغاية أبدا .

انفض مؤتمر بال بعد وضع برنامج رسمي . وقد لخص الغرض النهائي بهذه الكلمات : « إن هدف الصهيونية هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يحميه القانون العام »[٢٢] . أما الخطوات التي يجب اتخاذها لتحقيق هذا الهدف فهي : (١) إقامة استعمار يهودي في فلسطين . (٢) إنشاء منظمة لتربط يهود العالم بوساطة مؤسسات في كل بلد فيه يهود (٣) تقوية الشعور القومي اليهودي . (٤) الحصول على موافقة حكومية للوصول إلى هدف الصهيونية[٢٣] .

لقد كان هدف الصهيونية كما أقره البرنامج الرسمي للمؤتمر هو ما تصوره هرتسل ، ما عدا حقيقة واحدة وهي أنه (أي

هرتسل) فكر في « دولة » لا في « وطن » . إلاّ أن أولئك الذين وضعوا البرنامج ، بالرغم من أنهم وافقوا هرتسل في هذا الشأن ، قد تحققوا من أن كثيراً من اليهود ، بل الأكثرية في ذلك الوقت ، اعترضوا على فكرة أمة يهودية ، بالإضافة إلى اعتراض الحكومة التركية . لذلك ، وبمقتضى البرنامج الصهيوني حول قضية مساندة يهود العالم ، استعملوا بتعمد كلمة « Heimstatte » (أي عزبة) . فعصم هذا المؤتمر عن الإساءة للصهيونيين غير السياسيين ، وفي الوقت نفسه تضمن خلق مجتمع مستقل . وهو مفهوم يمكن في وقت لاحق تأويله بسهولة بحيث يعني إقامة دولة . وقد علق هرتسل نفسه على هذه المسألة قائلاً : « لا داعي للقلق [على اللفظ] . فسوف يقرأها الناس « دولة يهودية » على أي حال »[٢٤] . وجاءت الخطوات هي الأخرى ترديداً لتلك التي قدمها هرتسل باستثناء صغير هو أن الخطوة الثالثة من برنامج هرتسل ضمنت في البرنامج الرسمي للمؤتمر في خطوتين هما الثانية والثالثة .

وجاء مؤتمر بال إلى الوجود أيضاً بالمنظمة الصهيونية العالمية ، آتياً بذلك إلى الحياة بالصهيونية السياسية ، تلك الطفلة التي عقلت ولادتها بانتظار توليد هرتسل لها . وكان على المنظمة أن تكون الحكومة الحقيقية لإسرائيل الجنين . فشكلت لجنة أعمال لتعنى بالأمور الملحة في غياب مؤتمر المنظمة . وأنشئت لجنة أعمال داخلية ، أو تنفيذية لتكون قيادة ثمة تسيّر السياسة[٢٥] . وقد أخذت هذه اللجان على عاتقها بشكل أولي مهام مكتب

الخارجية لأن هـدف المنظمة الصهيونية كان خارجي الصبغة . وهكذا تقرر سنة ١٨٩٧ هدف الصهيونية السياسية وسياستها . وأوجد هيكل حكومي للوصول إلى الهدف من خـلال تطبيق هذه السياسة .

المنظمة الصهيونية قبل الحرب العالمية الاولى

آمن هرتسل ، الذي انتخب أول رئيس للمنظمة الصهيونية ، أن أهم متطلب سياسي للصهيونية السياسية كان النقطة الثانية في دستوره الأصلي ، وهي الحصول على حق شرعي معترف بـــه دولياً لاستعمار فلسطين . لذلـــك اجتمع في تشرين الأول سنة ١٨٩٨ بالقيصر ولهلم الثاني في القسطنطينية ، حيث توقف العاهل الألمـاني في رحلة إلى الشرق الأدنى [٢٦] . فعرض هرتسل إنشاء شركة قانونية لتنمية الأراضي ، يديرها الصهاينة تحت الحمايـــة الألمانية . وقد كان اجتماع ثانٍ مع القيصر في فلسطين في الثاني من تشرين الثـاني سنة ١٨٩٨ ، ولكن القيصر في هذه الجاسة أعلن معارضته للعرض ، لتحققه من أن مثل هذا التدخل في الشؤون العثمانية برعاية ألمانية سيثير الذعر لدى بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا [٢٧] .

فكانت خطوة هرتسل التالية أن يواجه سلطان تركيا بعرض لإسكان يهودي في فلسطين . وقد فعل هذا في أيار سنة ١٩٠١ ، عارضاً الموضوع بشكل غير مبـاشر في اقتراح فحواه ان اليهود

يستطيعون أن يساعدوا في إعادة تنظيم مالية الباب العالي وفي تطوير المصادر الطبيعية للامبراطورية العثمانية أيضاً[٢٨] بيد أن هذا العرض المغري فشل في التأثير على السلطان الذي أجاب بأنه لا يمكن أن يأذن بأية هجرة جماعية لليهود إلى فلسطين .

ولما فشل هرتسل في الحصول على ترخيص لاستعمار يهودي لفلسطين من القيصر ومن السلطان، ركز اهتمامه على إنكلترا[٢٩]. ففي تشرين الأول سنة ١٩٠٢ دخلت الهيئة التنفيذية في مباحثات مع الحكومة البريطانية للحصول على إقرار بأجزاء من شبه جزيرة سيناء لإقامة استعمار يهودي ذي حكم ذاتي فيها[٣٠]. ولكن هذه المباحثات فشلت بسبب بعض الشروط المصرية . وهذه هي أول إشارة للمقاومة العربية للصهيونية في المستقبل . على أن الحكومة البريطانية تقدمت في السنة التالية بعرض كان هرتسل أوعز به لإعطاء أوغندا للمنظمة الصهيونية لاستعمارها[٣١]. وبالرغم من أن هرتسل أيد قبول عرض أوغندا كإجراء مؤقت، فإن المؤتمر الصهيوني السادس لم يأت عملاً ملموساً غير إرسال بعثة لاستكشاف أوغندا[٣٢] .

وبوفاة هرتسل سنة ١٩٠٤، انقسمت الصهيونية الى فريقين. أحدهما أيد رأي هرتسل في أن القضية الرئيسية هي التصديق العالمي وإيجاد حل فوري للمسألة اليهودية سواء في فلسطين أو في غيرها . وقد عرفت هذه الجماعة فيما بعد « بالسياسيين » . والفريق الآخر ، وهو متأثر جداً بالإحياء الثقافي ، مذهب جمعيات شوفيفي زيون ، رفض أن ينظر في أي عرض لإقامة

وطن أو أمة يهودية في أي مكان غير فلسطين . وقد لقب هؤلاء « بالعمليين » . وفي المؤتمر الصهيوني السابع سنة ١٩٠٥ ، أظهر « العمليون » قوة أعظم . واتخذ قرار أعلن فيه أن الصهيونية معنية بفلسطين وحدها(٣٣) .

ولسوء الحظ أن الالقاب التي انيطت بالفريقين اللذين برزا داخل الصهيونية السياسية وقت اقتراح ارغندا كانت مضللة . فكلتا الجماعتين كانت مؤيدة للصهيونية السياسية، والفرق الوحيد (بينهما)أن إحداهما أكدت على الشرعية والأخرى على استعمار فلسطين وعلى خيالية تاريخية ثقافية . وأخيراً ، فإن الاتجاهين السياسي الواقعي والخيالي القومي -- التقيا معاً واستنا خطة واحدة . وفيما بعد أصبح العنصر الثالث في البرنامج – وهو استقطاب يهود العالم حول القضية – همّ الصهاينة الأكبر، بالنظر إلى حقيقة أنه في سنة ١٩١٤ كان من الثلاثة عشر مليون يهوديّ ١٣٠,٠٠٠ صهيوني فقط(٣٤) .

وهكذا التأم برنامج هرتسل الثلاثي . واستمر استعمار فلسطين تدريجياً من سنة ١٩٠٥ حتى ١٩١٤ . وبنشوب الحرب العالمية الأولى كان في فلسطين تسع وخمسون مستعمرة فيها حوالي اثني عشر ألف نسمة(٣٥) . وقد ذهب إلى إنكلترا أيضاً جماعة من اليهود المتبصرين الذين لم يستهينوا بأهمية الاعتراف السياسي، وذلك بحثاً عن دعم ودي(٣٦) .

الفصل الثاني

تصريح بلفور

السياسة الصهيونية والحرب العالمية الأولى

ان الاهتمام الصهيوني بإنجلترا الذي كان قد ابتدأه هرتسل وتطور في أثناء العقد الذي تلا موته[1] شدّد عليه كثيراً بعد نشوب الحرب العالمية الأولى . وبدخول تركيا (الحرب) بات مستقبل فلسطين غير أكيد . وسريعاً ما أدرك الصهاينة أن بحثهم الخائب عن هجرة غير محدودة إلى فلسطين وخلق وضع صهيوني سياسي معترف به شرعياً من الممكن نجاحه الآن . فغدت إنجلترا فوراً هم المنظمة الصهيونية الأعظم .

وانتقل إلى انجلترا سنة ١٩٠٤ حاييم وايزمن ، وهو كيميائي يهودي من روسيا قدر له أن يصبح القائد الجديد للحركة الصهيونية . وقد جاء الى هناك مقتنعاً بأن البريطانيين هم أكثر

من يحتمل عطفهم على الصهيونية ويؤمل بـه . وفي عام ١٩٠٦ شرع في برنامج للاتفاق مع الساسة البريطانيين مبتدئاً ذلـك في الاجتماع بآرثر بلفور[٢] . وفي إشارة الى هذا الاجتماع ، فيما بعد، وصف بلفور وايزمن بأنه « الرجل الذي جعلني صهيونياً [٣] » .

وأكثر من ذلك ، فإن وايزمن ، وهو في الأصل عضو الفريق « العملي » في المنظمة الصهيونية ، كان بطل دمج الفريقين داخل الصهيونية السياسية[٤] . وقد حل الإشكال بـين « السياسيين » و « العمليين » في المؤتمر الثامن سنة ١٩٠٧[٤] . وعند قيام الحرب العالمية الأولى أضحت صهيونية وايزمن « العضوية » هي السائدة. وقد أعيـد التركيز مرة أخرى على برنامج هرتسل الثـلاثي النقاط – التنظيم والاعتراف والاستعمار – . وجُسد في شخص الدكتور وايزمن ما سمي أحيـاناً « بالتركيب » . وكان هـذا التوكيـد على الخطة الأصلية تطوراً طبيعياً نابعاً عن الوحـدة الأساسية للصهيونية . وكانت الى ذلك إقراراً منطقيـاً لنظرة « السياسيين » في وقت بدا فيه مركز فلسطين أكيـد التغير ، والحاجة لبرنامج عمل سياسي بين الأمم الأخرى واضحة .

لذلـك ظهر وايزمن ، بطلُ التوحيد والزعيمُ الصهيوني في إنجلترا ، أخطرَ شخص فرد في المنظمة الصهيونية . وإنـه لذو شأنٍ أيضاً أن كان لدى وايزمن إحساس نامٍ بأهميـة دعم الأمم الأخرى في الوقت الذي كان فيـه اكتساب هـذا الدعم أمراً حيوياً جداً للصهيونية . وكان وايزمن سنة ١٩٠٧ قـد أظهر إدراكه لأهمية اعتراف الأمم الأخرى بالصهيونية (حين قال) :

إن الصهيونية السياسية تعني : جعل المسألة اليهودية عالمية . إنها تعني الذهـــاب الى الأمم والقول لهم : « اننا نحتاج مساعدتكم للوصول إلى هدفنا ... »[٦] .

وحين اتخذ القرار بتركيز النشاط الصهيوني على كسب انجلترا كحليف للصهيونية، انضم الى وايزمن اثنان من الصهاينة القياديين في القارة (الأوربية) هما سوكولوف وتشلينوف[٧] . ووضعت الخطط للتركيز على مسعيين : (١) كسب اليهود البريطانيـــين للصهيونية، وهي مهمة كان قد بدأها وايزمن قبيل الحرب بترغيب أسرة روتشلد في مشروع لتأسيس جامعة في فلسطين [٨] . (٢) ايجـــاد أصدقاء للصهيونية من بين الزعماء الكبار في الحكومة البريطانية .

كانت معرفة وايزمن لبلفور قليلة الفائدة سنة ١٩١٤ لأن بلفور لم يكن عضواً في الوزارة ، فبـــات من الضروري اجراء اتصالات جديدة . وكان ذا أهمية أساسية في هذا المسعى اجتماع عارض سنة ١٩١٤ بـــين وايزمن و ب. س. سكوت ، محرر المانشستر غارديان في ذلك الوقت . وقد كسب وايزمن سكوت الى قضية الصهيونيـــة على الفور . وقدم هـــذا الاخير وايزمن وسوكولوف وتشلينوف الى لويد جورج وهربرت صموئيـــل ، وكلاهما عضو في الوزارة[٩] . وقد أظهر لويد جورج وصموئيل، والأخـــير يهودي ، عطفهما ، فبدأ بذلـــك عهد من الإعداد الصهيوني الدبلومـــاسي الذي خطط بحيث يستقطب التأييـــد

البريطاني .

إن تحول سكوت إلى تأييد القضية الصهيونيـــة ، شأنـه شأن بلفور ، هو مثـــل لظاهرة صهيونية الأمـــم الأخرى The Gentile التي لم تُفهم ، على أحسن الأحوال ، الاّ بشكل غامض. ويعرض آرنولد توينبي تفسيرين لذلك. فهو يرى أولاً أنه من الممكن أن يكون ميل بعض النـــاس من غير اليهود (The Gentile) للصهيونية منبثقاً عن شعور بالذنب تابـع من لاسامية في العقل الباطن. وهو إلى ذلك يعزو صهيونية هؤلاء في البلاد الانجلو – سكسونية الى الطبع الانجلو – سكسوني الذي يجمع بين مكيافلليّة غير صريحة ، ولكنها دامغـة ، وبين تهور مشبوه ، ولكنه صادق ... »[11] ويأتي كريستوفر سايكس بالاعتقاد المسيحي بعودة المسيح كتفسير لصهيونية غير اليهود[12]. وأكيد أن كثيراً من المسيحيين قد أيدوا الصهيونية لأنهم يشعرون بأن النبوءة الإنجيلية تتكهن باستعادة اليهود لفلسطين . على أن الحقيقة ، كما أبرزها أحد العلماء ، هي أنه ليس لليهود العصريـين أي استمرار قومي أو شرعي ليهود إسرائيل الذين يتكلم عنهم الكتاب المقدس وحتى لو كان لهم ذلك فإنه لجد مشكوك فيـه أن يتكلم ذلك السِفر عن أية « عودة » غير العودة من بابل[13]. لذلك فإنه إن أيـد المسيحيون الصهيونية على أسس دينية ، فإن أشد ما يثير الدهشة هو أنهم بحثوا عن تبرير إنجيلي للصهيونيـة بعين غير ناقدة وغير بحاثة البتة .

بالإضافة إلى هذه الحجج نرى أن رغبة الامم الأخرى في

الخروج عن سبيلها لتساعد الصهيونية تنبثق عن التباس في عقولهم بالنسبة للعلاقة بين الصهيونية والتحررية. ومن الملاحظ أن كثيراً من غير اليهود قد دعموا الصهيونية معتقدين أنهم يخدمون بهـذا قضية التسامح العنصري. بيد أن الحقيقة الواقعـة هي أن دعاة الدمج من اليهود هم الذين كانوا يبحثون عن حل تحرري للعنصرية، بينما كان الصهاينـة يبحثون عن حل قومي. ومع ذلك فإن الالتباس في عقول غير اليهود موجود. وهذا يفسر جزئياً هواهم للصهيونية.

الأساس الدبلوماسي في انجلترا

أجمل الدكتور وايزمن في تشرين الثاني ١٩١٤، وذلك قبـل شهر فقط من اجتماعه بصموئيل ولويد جورج، الموقف الصهيوني الذي سيطرح أمام الحكومة البريطانية. وقد ضمن هـذا في رسالة إلى سكوت تقول:

«... نستطيـع أن نقول بشكل معقول إنه إن وقعت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطاني، وإن شجعت بريطانيا الإسكان اليهودي هنـاك كمحمية بريطانية، فإنه يمكن أن يكون لنا هناك في خلال عشرين سنة إلى ثلاثين سنة مليون يهودي، وربما أكثر. إنهم سيطورون البـلاد ويعيـدون اليها الحضارة ويكونون حارساً

فعالاً لقناة السويس »[١٤] .

ههنا ، إذاً ، كان تبلور لحرب الدبلوماسية الصهيونيـــة . وبشكل موجز كانت أهدافها مـا يلي : (١) انتصار الحلفاء ، (٢) إقامة انتداب بريطاني في فلسطين ، (٣) فهم مثل هـــذا الانتداب البريطاني على أنه سيهيء دخول مليون يهودي أو أكثر إلى فلسطين في مدة عشرين سنة إلى ثلاثين بعد إقامة الانتداب ، (٤) العـــلم بأن الانتداب سينتهي في فلسطين التي يحكمها اليهود والتي ستستمر في خدمة مصلحة بريطانيا في قناة السويس كحصن للدفاع عن تلك الطريق المائية . ومن المثير أن نعلم أن جميـــع النقاط الأربع قد حققت .

بدأ لويد جورج وهربرت صموئيل عقب اجتماعهما بالصهاينـة الثلاثة يساعدان وايزمن في بحثه عن دعم الحكومة البريطانية . وكان صموئيل ، الذي كان مؤيداً للصهيونية أصلاً وقبل اجتماعه بوايزمن ، قد طرق موضوع خلق دولة يهودية في فلسطين مـــع السير إدوارد غراي ، وزير الخارجية[١٥] . وقد قال غراي إنه سيعمل على تحقيق مثل هذه الدولة في المستقبل[١٦] . وهكذا انضم [غراي] إلى صفوف مؤيدي الصهيونية في الحكومـــة البريطانية . وفي كانون الثاني سنة ١٩١٥ خطى صموئيل خطوة أبعد بإصدار مذكرة رسمية بعنوان : « مستقبل فلسطين »[١٧] . وقد دافع فيها عن هجرة ثلاثـــة إلى أربعة ملايـين يهودي إلى فلسطين تحت الحماية البريطانية .

لقد طُرحت قضية تأييد الصهيونية وواجهت في الحال أول

تجربة لها في البحث عن مساندة الوزارة. غير أنه قدر لها الفشل هذه المرة بسبب معارضة رئيس الوزارة هربرت أسكويث الذي كان ملتزماً بسياسة إحلال العرب محل الأتراك كأصدقاء لبريطانيا العظمى في الشرق الأدنى [١٨] . وفي الوقت نفسه أعلم زعماء اليهود البريطانيين المنصهرين (في المجتمع البريطاني) الصهاينة أنهم لا يؤيدون إنشاء وطن يهودي كحل للمسألة اليهودية . وأنهم يشعرون أن فرضية الصهيونية القومية لن تأتي بغير اللاسامية. وأنهم لا يستطيعون أن يفتحوا باب النقاش مع منظمة صهيونية تضم أعضاء في دول عدوة [١٩] .

ولكي يواجه الصهاينة تأثير اليهود البريطانيين غير الصهيونيين قاموا بحملة دعاية واسعة النطاق ليكسبوا المؤيدين من بين اليهود وغير اليهود من البريطانيين وليوجدوا انطباعاً بأن أكثرية يهود العالم وراء القضية الصهيونية . وقد نظم هربرت سايدبوثام [٢٠] ، وهو صحفي إنجليزي مرموق ملحق بالمانشستر غارديان ومؤيد للصهيونية ، (نظم هذا) « لجنة فلسطين البريطانية » لتنشر الأفكار الصهيونية في أرجاء المملكة المتحدة [٢١] . فانضم إلى الحملة لكسب شعبية للصهيونية ولايجاد دعم لها كتّاب آخرون مؤيدون للصهيونية ، منهم نورمان بنتويتش [٢٢] . وقد ردد سايدبوثام في إحدى افتتاحياته رأى كتشنر في أنه يجب أن تصبح فلسطين حصناً للدفاع البريطاني عن قناة السويس [٢٣] ، مشيراً بذلك الى القيمة الاستراتيجية لبريطانيا في وجود دولة يهودية صديقه و معتمد عليها في فلسطين. وكان لهذا النقاش وزن

كبير وجاء بكثير ممن عطف على الأهداف الصهيونية . بيد أنه من المثير أن نشير إلى أن الصهيونية انكشفت في السنين الأخيرة على أنها غير أهل للثقة كحليف استراتيجي لبريطانيا .

وروفقت حملة الدعايـــة في سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ بمحاولة مستمرة لتجميع دعم كافٍ للصهيونية في الحكومة البريطانيـة للإسراع في سياسة بريطانية رسمية ملتزمة بالقضية الصهيونية . ونزولاً عند اقتراح لويد جورج جدد وايزمن اتصاله ببلفور الذي أعلن عطفه الكامل وسأل عما يمكنه أن يفعل للمساعدة [٢٤] . ولم يبد تحويل وايزمن لبلفور إلى الصهيونيـة في ذلك الوقت ذا أهمية خاصة . ولكنه عندمـا عين في الوزارة في أيار ١٩١٥ أصبح مجنداً هاماً آخر في صفوف الصهيونية . وبـدأ يتكشف بالتدريج اتجاه لاعتراف جزئي على الأقل بالأهداف الصهيونية .

كانت الخطوة الأولى في محاولة الصهاينة كسب الحكومـــة البريطانية لقضيتهم إسكان الدكتور وايزمن في لندن حيث يمكن أن يكون على اتصال وثيق بالرسميين في الحكومة . وقد عـــلم وايزمن في أول اجتماع له بلويـد جورج ، رئيس لجنـــة المهمات الحربية ، أن الحكومـة البريطانية بحاجة إلى طريقة لإنتـــاج مـــادة الأسيتون للمتفجرات بكميات كبيرة [٢٥] . فابتكر خلال سنة ١٩١٥ تلك الطريقة وأعلم سكوت بنجاحه . وقد قام سكوت بعدة سفرات إلى لندن ليحث لويد جورج وبلفور وغيرهما على الاستفادة من وايزمن [٢٦] . وأخيراً ، في كانون الأول سنة ١٩١٥ ، أخذ سكوت وايزمن ليرى لويد جورج .

وفي شباط ١٩١٦ عين وايزمن في الأميرالية تحت إشراف بلفور [٢٧] . وتجنب وايزمن مسألة الصهيونية متعمداً . ولكن بلفور ، الذي تذكر وعده القديم ، قال له يوماً : « أتعلم ، إنك قد تحصل على «أورشليمك» بعد الحرب »[٢٨] .

عند هذه المرحلة في فترة مبكرة من سنة ١٩١٦ بدأت الحكومة البريطانية بشكل فعال تنظر بعين الاعتبار في موقف رسمي أكثر تأييداً للصهيونية . فتحرك أعضاء الوزارة المؤيدون للصهيونية بحذر ، لتبينهم موقف أسكويث ، وقصروا أنفسهم على هدف مباشر هو سبر غور فرنسا وروسيا والولايات المتحدة. وفي آذار ١٩١٥ بعث السير إدوارد غراي بمذكرة إلى السير إدوارد بوشانان ، السفير البريطاني في بيترسبرغ ، ملخصاً فيها الآراء البريطانية حول العلاقة ما بين فلسطين واليهودية العالمية[٢٩] . وقد نصت هذه المذكرة ، التي كلف بوشانان بنقلها إلى وزير الشؤون الخارجية الروسي ، م. سازانوف ، على أن الحكومة البريطانية مهتمة بإيجاد وسيلة لكسب تأييد أغلبية يهود العالم لقضية الحلفاء . ومضت [المذكرة] تعبر عن الاعتقاد بأنه إن استطاع المعمرون اليهود في فلسطين أن ينافسوا السكان العرب ، فقد تصبح إدارة البلاد في أيد يهودية . وعرض مشروع اتفاق يحقق مثل هذا المخطط . وفحوى الفكرة أن الاتفاق سيجذب يهود العالم إلى قضية الحلفاء . فعبر الروس عن تأييدهم للعرض ولكنهم أصروا على أن تحمى المصالح الدينية الروسية في الأرض المقدسة .

وقصة استمرار بريطانيا في هذه الخطة للوصول إلى اتفاق مع حلفائها حول مسألة الصهيونية خلال سنة ١٩١٦ هي، الى درجة كبيرة ، قصة مارك سايكس . ففي خريف عام ١٩١٥ عين سايكس وزيراً مساعداً لوزارة الحرب . ولم يكن هناك سوى منصبين كهذا . وقد جعلت حقيقة إسناد مسؤولية شؤون الشرق الأدنى بشكل رئيسي لسايكس [جعلت] منه امرءاً هاماً في أعين الصهاينة الباحثين عن المؤيدين . وقبل عام ١٩١٤ ببعض الوقت اطلع سايكس صهيونيٌ بريطاني ، يسمى موسى غاستر ، على مبادىء الصهيونية . وحسب قول سايكس نفسه فإن غاستر هو الذي حوّله إلى القضية الصهيونية بعيد تعيينه للخدمة في وزارة الحرب[٣٠] .

وبعد تقديم مذكرة غراي إلى سازانوف مباشرة ، وصل سايكس الى سانت بيترسبرغ ليبدأ المباحثات التي أدت الى معاهدة سايكس – بيكو الشهيرة ، التي عُقدت بين فرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا . وقد ارتأى سايكس ، محاولاً التقرب من سازانوف أولاً ، أنه قد تثبت الصهيونية انها الحل للمشكلة اليهودية في روسيا[٣١] . وفي الوقت نفسه كان سايكس مسؤولاً عن منع وصول مذكرة إلى الحكومة الفرنسية تنذر بأخطار القومية اليهودية ، أرسلها الى الحكومة البريطانية لوسيان وولف ، وهو يهودي بريطاني مناوىء للصهيونية[٣٢] . وقد جشم هذا العمل سايكس تأنيباً رسمياً .

واستدار سايكس بعد ذلك الى الفرنسيين فأقنع السيد

جوزج بيكو، المفاوض الفرنسي في معاهدة سايكس – بيكو، بأن إلحـــاق اليهود الأمريكيين بقضية الحلفاء أمر حيوي لزج أمريكا في الحرب . ثم أقنع جورج بيكو بأنـه يمكن اجتذاب اليهود الأمريكيين إلى قضية الحلفـــاء بمجرد وعدهم بأن توضع البلاد المقدسة بعد الحرب تحت إدارة مؤاتيـة للصهيونية [٣٣] . وبناء على ذلك بعثت الحكومـــة الفرنسية بأستاذ يهودي هو فكتور باش ، الى الولايات المتحدة ليؤكد لليهود الأمريكيين أن المستعمرات اليهودية في فلسطين ستمنح حمايـة بريطانيا وفرنسا الكاملة بعـــد انتهاء الحرب [٣٤] . ولكن بعثة باش فشلت في استثارة حماس كبير لدى اليهود الأمريكيين ، فأخذ سايكس يفقد اهتمامه بالصهيونية كوسيلة لزج أميركا في الحرب . وهـــو تطور اعتبره حيوياً .

كانت معـاهدة سايكس – بيكو ، الى حد ما ، مخالفـــة لرغبات الصهاينة في انها فرضت على فلسطين حكماً دوليـاً بدل انتداب تشرف عليه حكومة بريطانية مؤيدة للصهيونيـــة . ولكن المعاهدة ، من جانب آخر ، لم تلمح إلى أية وعود للعرب ، مما استبعد امكانية حكم عربي ، وأعطى الصهاينة وقتاً ليغتصبوا فلسطين لأنفسهم . ومن هذه الوجهة فإنها خدمت القضية الصهيونية مع أنه يكاد يكون أكيداً أن الصهاينـــة أنفسهم لم يصنعوا المعاهدة . وقد استمروا في التركيز على تحويل الرسميين البريطانيين إلى قضيتهم على أمل الحصول أخيراً على دعم رسمي من الحكومة البريطانية ، وهذه سياسة نادراً ما فشلت في أن تأتي بالنتائج التي

يريدون .

وفي تشرين الأول سنة ١٩١٦ تقرب من سايكس رجل أرمني مؤيد للصهيونية هو جيمس مالكولم ، ربما بتحريض من المنظمة الصهيونية . وقد نجح مالكولم في استعادة عطف سايكس على الصهيونية مشدداً على حقيقة أن القاضي براندیز ، وهو صهيوني أمريكي مرموق ، له تأثير خاص على الرئيس ولسن ويمكنه أن يساعد في الزج بالولايات المتحدة في الحرب[٣٥] . ولما اقتنع سايكس بالنقاش استعطف الوزارة في مناسبات عدة للدخول في محادثات مباشرة مع الصهاينة . فوافقت الوزارة على ذلك ، ولكن من غير التزامات مسبقة . وقد عين مالكولم كوسيط واستعد الصهاينة للعمل في غمرة هذا النجاح الشامخ .

كان طلب الصهاينة الأول أن يؤذن لهم باستعمال وسائل المواصلات البريطانية للاتصال بالصهاينة في أنحاء العالم . فاستجابت الوزارة للطلب ، موجدة بذلك ومن غير فطنة ، سابقة للتعاون مع الصهاينة وجاعلة من المحال التراجع في هذه السياسة ، لأن وسائل المواصلات هذه استغلت لإذاعة التأييد البريطاني للصهيونية بين يهود العالم[٣٦] . والإمساك عن التأييد بعد استجابة ذلك الطلب الصغير الشأن في الظاهر يعني إثارة غضب اليهود الصهاينة في العالم .

في هذه اللحظة العصيبة من تاريخ الصهيونية السياسية أعدت مسودة المطالب الصهيونية لتستعمل كقاعدة للتباحث مع الحكومة البريطانية . وقد عنونت هذه الوثيقة التي قدمت

للحكومة البريطانية بـ « برنامج لإدارة جديدة في فلسطين حسب مطامح الحركة الصهيونيـة[٣٧] » . وقـــد عرضت إنشاء شركة يهودية شبه حكومية تحت سلطة بريطانيا أو فرنسا . وللشركة أن تكون ذات مكانة وطنية وأن يسمح لها بتشجيع الاستعمار اليهودي لفلسطين . وقد اعتمدت القضية الصهيونية على هـــذا العرض حتى كانون الأول عام ١٩١٦ حين حل لويـد جورج محل أسكويث كرئيس للوزراء ، وأصبح زعيم الحكومة الائتلافيـة الثانية . وكان لويد جورج، كما أسلفنا ، قد جند في سبيل القضية الصهيونية ، وبذلـك انتهت المعركة حقيقة . وتأكـــد الالتزام البريطاني بالصهيونية بوجود رئيس الوزراء في المعسكر الصهيوني وبتعيين بلفور وهو مؤيـد صهيوني آخر ، وباتت المسألة مسألة وقت وحسب .

الإعداد لتصريح بلفور

في شباط ١٩١٦ ، بعد تشكيل الوزارة الائتلافية الثانيـــة بأقل من شهرين كلف مارك سايكس ببدء المباحثات الرسمية مع الصهاينة. فعقد الاجتماع الأول، الذي كرس لاستعراض وجهات النظر ، في دار موسى غاستر . ولا شك أن هذه الجلسة قـــد ذكرت سايكس بأحاديثه القديمة مع غاستر وتحوّله في النهاية الى الصهيونية . وافتتح غاستر الاجتماع بعبارة مفادها أن الصهيونية تتصور تحقيق هدفهـا بوساطة سلطة بريطانية فقط . فأكد هذا للحكومة البريطانيـة مرة أخرى أن مصالحها الاستراتيجية في

فلسطين ستلقى الاعتبار كجزء مكمل لأية اتفاقيـة يتوصل اليها بينها وبين المنظمة الصهيونية . وهكذا ابتدأ الصهاينة مباحثاتهم بالإلمـاح إلى عقد اتفاق وبتزويد البريطانيين بتبرير لمـا كانوا يفعلون[٣٩] .

وعد هربرت صموئيل – بعد غاستر – عن أمله في أن ينال يهود فلسطين وضعاً قوميـاً كاملاً . وأن يعتبر اليهود في ارض الشتات شركاء في هذا الوضع القومي . ويبـدو ان الاستحالة الطبيعية للاقتراح الأخير قـد غابت عن ذهن صموئيل تماماً ، في ضوء المفهوم السائد لالتزام المواطن بدولته القومية .

وقام وايزمن بعد ذلك وقال إن الانتداب في فلسطين يجب أن يبدأ ادارتها وهو مدرك أنه لا شيء سيوضع للحد من الهجرة اليهودية في أي شكل ثم تـلاه السيد هارى زاخر الذي ردد اقتراحات صموئيل قائلاً إنه يجب أن يسمح لليهود خارج فلسطين بالمشاركة في قومية يهودية. وأضاف أن مثل هذا الامتداد للقومية اليهودية خارج حدود فلسطين يجب أن لا يشمل الولاء السياسي المعتاد الذي تقتضيه المواطنة ، وقد فضل زاخر ، شأنه في ذلك شأن صموئيل ، أن يغض الطرف عن المعضلة التي لا مناص منهـا في مسألة الولاء السياسي الذي يعنيه خلق قومية يهودية . وهي مشكلة تحيا في كل يهودي غير إسرائيلي في العالم اليوم .

وفي الاجتماع عينه لاحظ سايكس، مدفوعاً بمتطلبات عوامل أكثر واقعيـة ، ان بعض المشاكل تقف في طريـق المطالب الصهيونية[٤٠] . من ضمنهـا تشكك روسيا ، ومعارضة العرب

المتوعدة ، وإصرار فرنسا على اقامة انتداب فرنسي كامـــل في سوريا ، بما في ذلك فلسطين .

وقد أنهى الصهاينة الاجتماع بتلخيص رغائبهم الأساسية على الشكل التالي:[٤١] (١) الاعتراف دولياً بحق اليهود في فلسطين، (٢) إنشاء قومية شرعية للطائفة اليهودية في فلسطين، (٣) إيجاد شركة يهودية في فلسطين ذات براءة قانونيـــة وحق في امتلاك الأراضي ، (٤) توحيد فلسطين في ظل إدارة واحـــدة ، (٥) جعل الأماكن المقدسة منطقة خـارج نفوذ الدولتين . فأمـــا النقاط الثلاث الأولى فقد انطوت على الأهداف الصهيونية . وأما النقطتان الأخيرتان فقد وضعتا لمداجاة انجلترا وروسيا بالترتيب.

وباحتواء لمطالب على عناصر من شأنها استثارة اهتمام إنجلترا وروسيا ، بقيت فرنسا والعرب كفريقين معنيين ، ولكن غير مرتبطين . وبالرغم من أن سكان فلسطين كانوا بشكل سائد من العرب فـإن الصهاينة لم ينظروا اليهم بعـــين الاعتبار قط ولم يذكروهم أبداً في مؤتمراتهم، ابتداء بالمؤتمر الأول عام ١٨٩٧[٤٢]. وهكذا فإن وايزمن وغيره من الصهاينة في إنجلترا أثناء المحادثات التي أدت الى تصريح بلفور اهتموا أولاً باجتذاب فرنسا لتأييـد اقتراحهم ، مولين إنشاء صداقة مع الولايات المتحدة وإيطاليـا اهتماماً ثانوياً .

كان مارك سايكس أول من رأى أهمية حصول الصهاينة على موافقة فرنسية . فوصل في الثامن من شباط ١٩١٧ مـــا بـين سوكولوف والسيد جورج — بيكو في السفارة الفرنسيـــة في

لندن[٤٣] . فأعلم سوكولوف جورج – بيكو أن الصهيونية يعتبرون إناطة انتداب فلسطين ببريطانيا العظمى أمراً لا غنى عنه لمصالحهم . ونجح [سوكولوف] باكتساب جورج – بيكو لوجهة النظر الصهيونية، وبقى عليه أن يواجه مسألة الحصول على دعم رسمي من الحكومة الفرنسية التي كانت تحت تأثير مجموعة عازمة على إقامة سلطة فرنسية في سوريا كلها . وكانت هذه المجموعة تدعى « الحزب السوري » . بيد أن عزيمة سوكولوف لم تهن . فقد ابتدأ في استقطاب الحكومة الفرنسية بالفوز بجورج-بيكو وليس عليه سوى الاستمرار في مسعاه في فرنسا ليحصل على نفس النتائج المرضية التي حصل عليها في إنجلترا . فمضى الى باريس مصطحباً سايكس ومالكولم في آذار ١٩١٧ . ووصل سايكس ما بين سوكولوف والسلطات الفرنسية ذات الشأن . وقام باتصالاته ليتحقق من تفكير « الحزب السوري » وليمهد السبيل أمام مهمة سوكولوف[٤٤] .

وبينما كان سوكولوف يضع المنهج الصهيوني بين يدي الحكومة الفرنسية، مضى سايكس الى ايطاليا حيث مهد الطريق لاستقبال سوكولوف لدى الحكومة الايطالية والفاتيكان بحفاوة[٤٥] . لذلك لما وصل سوكولوف إلى روما استقبل بأذرع مفتوحة بالرغم من أنه لقى شيئاً من الصعوبة في تبديد اهتمام البابا بمصير الطوائف غير اليهودية في فلسطين[٤٦] .

وعند عودته من باريس سلم رسالة رسمية من جوليه كامبو ، الأمين العام لوزارة الخارجية الفرنسية[٤٧] ، تعرب عن عطف

الحكومة الفرنسية على القضية الصهيونية . وبذلك تمت مهمة سوكولوف. ولم يكن تحول تأييد الحكومة الفرنسية عن «الحزب السوري» الى الصهاينة ناجماً عن جهود سايكس وحسب، ولكنه أيضاً [نتيجة] تأثير البارون إدموند دي روتشيلد[٤٨]. ففي اللحظة العصيبة خاطب روتشيلد – الذي سبق لوايزمن كسبه الى الصهيونية – الاتحاد الإسرائيلي العالمي المعادي للصهيونية في أمر دعم القضية الصهيونية أمام الحكومة الفرنسية، مزوداً بذلك سوكولوف بالدعم الاضافي الذي يلزمه لإتمام مهمته .

وبينما كان سوكولوف في القارة [الأوربية] كان الصهاينة في إنجلترا مشغولين في تحضير مسودة قرار ليقدم الى الحكومة البريطانية كأساس لبيان بريطاني رسمي حول الصهيونية . وبينما كانت الجهود تبذل حتى آخر دقيقة لضمان قبول بريطانيا للمسودة. أكد القاضي برنديز لبلفور أن الرئيس ولسن ينظر إلى الصهيونية بعطف، في حين حاول وايزمن تخفيف مخاوف بلفور من أن حلفاء بريطانيا لن يتقبلوا من جانبها سياسة مؤيدة للصهيونية . وأخيراً أذاع وايزمن في ٢٠ أيار ١٩١٧، أمام الاتحاد البريطاني الصهيوني أن الحكومة البريطانية مستعدة لاعلان معاضدتها لأهداف الصهيونية[٤٩] .

وبعد بضعة أيام فقط وقفت القوى المضادة للصهيونية من اليهود البريطانيين في وجه الصهيونية السياسية وذلك في رسالة نشرت في التايمز كتبها زعيمان بريطانيان يهوديان هما

دافيد الكساندر وكلود مونتفيوري [٥٠] . وإذ فزع وايزمن من أن يفقد بلفور حماسة كتب رسالة توكيدية لأمين سر بلفور قال فيها : « أما الفئة الأخرى من اليهود البريطانيين [أي دعاة الاندماج في المجتمع البريطاني] فسوف تسير في الركب بسرعة حين يعطى لها هذا التصريح [أي تصريح بلفور] » . [٥١] على أنه لم يكن هناك داعٍ لخوف وايزمن لإنه بإذاعته على الناس أن الحكومة البريطانية قد التزمت بدعم الصهيونية فإنه في الحقيقة أغلق الباب وراء الحكومة البريطانية وجعل محالاً أن تعود عن السبيل الذي سلكته .

وفي حزيران أعلن بلفور استعداده لاستلام مسودة للمطالب الصهيونية لتضمينها في البيان الرسمي للحكومة البريطانية في دعم الصهيونية . وفي تموز كان الصهاينة قد توصلوا إلى صيغة نهائية قدمت في حينها إلى بلفور في الثامن عشر من ذلك الشهر [٥٢] . وقد طالبوا فيها أن تعلن الحكومة البريطانية قبولها لمبدأ الاعتراف بفلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي ، وضمان حق اليهود في بناء حياتهم القومية في فلسطين في ظروف استقلال داخلي غير مشروط لاستعمار [فلسطين] . فقبلت الوزارة مبدأ الاعتراف بفلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي . ولكنها أصرت على أن تعين الحكومة البريطانية والمنظمة الصهيونية الوسائل والسبل [٥٣] الى ذلك . فاحتج لدى الوزارة زعماء دعاة الاندماج من اليهود البريطانيين ، على كلتا الصيغتين ، الأولى والثانية . وكان نتيجة إصرارهم أن دعت الصيغة النهائية ، وهي

المعروفة بتصريح بلفور[٥٤] ، إلى ما يلي : (١) الدعم البريطاني لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، (٢) تعاون بريطاني للوصول الى هذا الغرض ، (٣) العلم بأن لن يفعل شيء من شأنه أن يجحف بحقوق الطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين أو بالحقوق والمكانة التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر[٥٥] .

لقد كان هذا أقل ما طمح اليه الصهاينة لأنهم تصوروا خلق فلسطين تكون « يهودية كما هي إنكلترا انكليزية » . ولم يكن ممكنـاً أن تنشأ فلسطين مثل هذه ، في ضوء القيود التي انطوى عليها تصريح بلفور . ومهما يكن من أمر ، فقـد كان عليهم أن يقبلوا بحـل وسط ، لأنهم كانوا في أمس الحاجة لتصريح من أي نوع يعبر عن تأييد الصهيونية قبل أن تضع الحرب أوزارهـا . كذلك ، نجحوا في جعل لويد جورج يقر بأنـه « ... حين يأتي الوقت لمنح فلسطين مؤسسات تمثيلية ، ... وأصبح اليهود أكثرية السكان المطلقة ، فإن فلسطين ستصبح كومنولث يهودي[٥٦] ... » وهكذا شقت طريق الخلاص لدى الصهاينـة . ولم يكن عليهم سوى تأمين أكثرية يهودية في فلسطين .

لقد أتم تصريح بلفور النصف الأول من المرحلة الاولى للسياسة الصهيونية . فقد نجح الصهاينة في ترسيخ مطالب برنامج هرتسل ، التي تدعو الى طلب التأييد من الأمم الأخرى لحق اليهود الشرعي لبناء وطن قومي في فلسطين . فـلم يكن تصريح بلفور ببساطة نتيجة مخطط بريطاني لإيجـاد منطقة عازلة امام قناة السويس ، وللفوز بتأييد يهود العالم لقضية الحلفاء . ولكن الصهاينة ، بشكل

أدق ، استخدموا التقاء المصالح البريطانية والصهيونية للحصول على الدعم البريطاني . وهكذا فـــإن تصريح بلفور كان حصيلة التخطيط الدبلوماسي الصهيوني . ويُجمـل رسمي بريطاني كانت له صلة بوايزمن هـــذا النصر الدبلوماسي في الكلمات التالية :

« إن من أفضل الأمثـــلة ... للدبلوماسية الناجحة هي تلك التي أوجد بوساطتها الدكتور وايزمن الوطن القومي اليهودي ... فعندمـــا نشبت [الحرب العالمية الأولى] كان من النادر ان يعرف بقضيته ساسة المنتصرين الرئيسيون . فقد كان لهـا أعداء كثر ، من أخطرهم من في ارفع مكانة لدى شعبه [اليهودي]. وكان العبء الذي كرس له الدكتور وايزمن نفسه ، في نقل مركز الصهيونية إلى لندن والحصول على عون بريطانيـــا في فلسطين ، أصعب من عبء أي سياسي آخـــر من سياسيي الدول الصغرى ... فقد أخبرني مرة أنـــه قام بـ ٢٠٠٠ مقابـــلة للوصول الى تصريـــح بلفـــور . وقـــد كيّف نقاشه ، بحذق لا يخطىء ، بحسب الحالة الخاصة لكل سياسي . ففيما يتعلق بالبريطانيين والأمريكيين استعمل اللغة الإنجيلية . وأيقظ فيهم صوتاً عاطفيـاً عميقاً . وتحدث لغيرهم من الامم بلغة المصلحة على الأغلب ، فقـــد أخبر

السيد لويد جورج أن فلسطين بلد جبلي غير بعيد الشبه عن ويـلز . ومع اللورد بلفور استعرض الأساس الفلسفي للصهيونية. ومع اللورد سيسيل طرحت القضية بشكل منظمة عالمية جديدة . بينما صور لـــلورد ملنر ، وبشكل حيوي ، توسيع القوة الاستعمارية . أما بالنسبة لي ، وقد عنيت بهذه الأمور كضابط صغير في الأركان العامة ، فقد جاءني من مصادر كثيرة بجميـــع الأدلة التي يمكن الحصول عليها لأهميـــة الوطن القومي اليهودي لمركز الإمبراطورية البريطانية الاستراتيجي [٥٧] . ولكنه نوه دائماً بمئة نغمة من صوتـــه باعتقاده في أنني سأتفهم أكثر من رؤسائي المسائل الأكثر دقة وغموضاً .

بيد أن هذا العرض الحاذق للحقائق ما كان ليصبح مجدياً لو لم يقنع كل من يتصل بهم باستقامة سلوكه وحقيقة ثقته بإدارة بريطانيا وقوتها ».

ولما أيـــدت الحكومة البريطانيـــة الاعتراف بأهـــداف الصهيونية ، بقي استقطاب يهود العالم واستعمار البلاد . فأمـــا (المهمة) الأولى فسيترك أمرهـــا ، كما أشار وايزمن ، لمجرى الزمن . وأما (المهمة) الأخرى فقد أضحت هم الصهاينة التـالي الذي تحول اليه التفاتهم .

الفصل الثالث

الانتداب

الصهاينة في مؤتمر الصلح

نجحت الجهود الصهيونية ، عند نهاية عام ١٩١٨ بالتعجيل بقبول تصريح بلفور بصورة رسمية في فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة واليابان[١] . ثم عقد مؤتمر الصلح رسمياً في كانون الثاني ١٩١٩ في باريس . وفي السابع والعشرين من الشهر التالي طرح وفد صهيوني ، يمثل المنظمة الصهيونية ، القضية الصهيونية على المجلس الأعلى . وقد خطب في المجلس بعض أعضاء الوفد ، منهم وايزمن وسوكولوف ، حول الأوجه العديدة من مسودة القرارات التي ضمنت في مذكرة رسمية أرسلت إلى المجلس الأعلى في الثالث من شباط[٢] . وقد طالبت هذه القرارات (بما يلي) : (١) الاعتراف بحجة اليهود التاريخية في فلسطين ، وحق اليهود في

إعادة بناء وطنهم القومي في فلسطين. (٢) تعيين حدود لفلسطين بحيث تضم لبنـــان الجنوبي وجبـــل الشيـــخ والعقبة وشرقي الأردن ، (٣) اقامة انتداب في فلسطين بإدارة بريطانيا العظمى . (٤) التحقيق الفعـــلي لتصريح بلفور . (٥) الترويج للاستعمار اليهودي في فلسطين . (٦) إيجاد مجلس تمثيـــلي ليهود فلسطين . وواقع الأمر أن الصهاينة كانوا يتابعون (محاولاتهم) للوصول الى وعد بريطاني بالدعم عن طريق صيغة تحدد الوسيلة[٣] التي يمكن بها تحقيق هذا الوعد .

كان أول عمل يقوم بـــه مؤتمر الصلح فيما يتعلق بفلسطين هو النص المتضمن في المـــادة ٢٢ من ميثاق العصبة[٤] ، والداعي إلى إقامة انتدابات مؤقته في « بعض المجتمعات التي كانت في السابق تابعة الإمبراطورية التركية » .

وقبل شهر فقط من اقرار المؤتمر لميثاق العصبة فتح الوفـــد البريطاني باب المباحثات مع الصهاينة حول مسألة وضع مسودة لمـــا سيصبح انتداباً رسمياً لفلسطين . وقـــد أجمل فيلكس فرانكفورتر في رساله لديفد هنتر ملر [٥] ، مؤرخة في باريس في ٢٨ آذار ١٩١٩ النقاط الأساسية التي رغب الصهاينة في تضمينها في صك الانتداب[٦] . وقد اقترح [ما يلي] : (١) أن يعاد إقرار تصريح بلفور في صك الانتداب ، (٢) أن تكون إقامـــة وطن قومي يهودي في فلسطين يتطور الى كومنولث مستقل هي مبدأ الانتداب الرائد ، (٣) أن تقام حكومة تمثيلية حين يصبح أهل فلسطين مهيئين للحكم الذاتي .

نقحت هذه المطالب بعد ذلك وقدمت في ١٥ تموز ١٩١٩ الى الوفد البريطاني كمسودة لينظر فيها ولتضمن في المعاهدة المقترحة مع تركيا[٧] . وقد دعت هذه المسودة الى : (١) أن يكون الهدف النهائي للانتداب خلق كومنولث ذي حكم ذاتي في فلسطين ، (٢) تشكيل مجلس يهودي دائم في فلسطين ، (٣) ضمانة رعاية مبدأ الوطن القومي اليهودي ، (٤) تسهيل الهجرة والاستعمار اليهوديين ، (٥) جعل العبرية اللغة الرسمية في فلسطين. وفي المراجعة الثالثة ، في آب ١٩١٩ سارت [المطالب] خطوة أبعد حين اقترح أن يشمل الوطن القومي اليهودي المقترح كل فلسطين[٨] .

وخلاصة القول إن الاقتراحات الصهيونية طالبت بأن يوقف الانتداب في فلسطين على خلق دولة يهودية . فكان على الإدارة المنتدبة أن تكرس نفسها لتقوية العنصر اليهودي في فلسطين وأن تستمر في حكم البلاد حتى يأتي وقت يكون فيه من اليهود في فلسطين ما يكفي لجعل إقامة دولة يهودية تحت الأمر الواقع ممكناً .

كانت الحكومة البريطانية تعتزم قبول المطالب الصهيونية ، وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٠ كلف المجلس الأعلى المنعقد في سان ريمو ، بريطانيا العظمى بالانتداب في فلسطين . وقد انطوى صك معاهدة سيفر مع تركيا ، التي وقعت في شهر آب التالي ، على تصريح بلفور[٩] . وبذلك يكون كل ما تبقي لضمان تحقيق أهداف الصهيونية هو تبني صك انتداب يدعم المخطط الأساسي

للمقترحات الصهيونية .

وجاء تعيين اللورد كورتزون كوزير للخارجية في ربيع ١٩٢٠ بمشاكل للصهيونية . فلم يكن كورتزون قط مؤيداً متحمساً للصهيونية . وكان الى ذلك مهتماً بالمد المتزايد للمقاومة العربية . ولذلك أصرّ على حذف عدة عبارات ذات لون صهيوني من صك الانتداب، منها واحدة تدعي ارتباط اليهود التاريخي بفلسطين ، وأخرى تدعو الى ما يترتب على ذلك من إقامة لكومنولث ذي حكم ذاتي في فلسطين[١٠] . فاستعمل الصهاينة نفوذهم لدى الحكومة من خلال بلفور وملنر[١١] وصموئيل ، ولكنهم لم ينجحوا إلاّ في الإبقاء على العبارة المتعلقة بارتباط اليهود التاريخي بفلسطين[١٢] .

بيد أن الصهاينة ، كما كان الحال في تصريح بلفور ، قبلوا بالحل الوسط في ضوء موقف الزعماء الرسميين في الحكومة ، ذلك الموقف المؤيد للقضية الصهيونية . وحينما أذاع وايزمن تأييد الحكومة البريطانية للصهيونية في ربيع ١٩١٧ أخبر الاتحاد الصهيوني البريطاني أن أهداف الصهيونية ستتحقق على مراحل ، وأن أول مرحلة ستكون مرحلة حكم بريطانيا لفلسطين[١٣] . لذلك ، وبالرغم من أن مسودة الانتداب التي قدمها بلفور أخيراً لمجلس العصبة للموافقة عليها في كانون الأول ١٩٢٠ لم تكن ما أراده الصهاينة بالضبط ، فإن الوثيقة النهائية التي أصدرت سنة ١٩٢٢ كانت بمثابة نصر صهيوني[١٤] . فقد اعترف بارتباط اليهود بفلسطين ، وضمن تصريح بلفور [في صك الانتداب ،

ومعاهـدة سيفر] ، ومُنح يهود فلسطين حق إنشاء مؤسسات ذات حـــكم ذاتي ، والتزمت سلطة الانتداب بتسهيل الهجرة اليهودية ، وسنت القوانين لإنشاء وكالة يهودية تساعد الإدارة . وكان هذا كل ما احتاج اليه الصهاينة في الحقيقة . أمـا المستقبل فقد تأكد . وكما عبر تمبرلي عن ذلك : « في الواقع، إن الانتداب قد وهب الصهيونية تقريباً كل مـا طلبه الممثلون الصهيونيون في مؤتمر باريس عام ١٩١٩[١٥]. إن أول مرحلة لسياسة الصهيونية السياسية قد انتهت بنصر ذائع لأبطال الرواية .

التمثيل الصهيوني في فلسطين

قررت الحكومـــة البريطانية سنة ١٩١٨ أن ترسل بعثـه صهيونيـــة إلى فلسطين لتبحث عن وسائل تطبيق تصريـــح بلفور[١٦]. وتكونت البعثة من الدكتور وايزمن وليفي بيانشيني من إيطاليـا ، وسيلفين ليفي ، وهو يهودي فرنسي غير صهيوني كان ادموند دي روتشيلد قد اختاره لئلا تظهر البعثة «مرصوصة» بالصهاينـــة . وبوصول البعثة الى [فلسطين] اضطلعت بمهمات مكتب فلسطين الذي كان قد شكل عـام ١٩٠٨ ليمثل المنظمة الصهيونية في فلسطين . وقد أبقي على مكتب فلسطين لفـــترة قصيرة ولكنه انصهر أخيراً في البعثة الصهيونية في تشرين الأول سنة ١٩١٩[١٧] . وكانت المهمة السياسية الأولى للبعثة الصهيونية أن تصل مـا بين الطائفة اليهودية في فلسطين وبـــين السلطات

البريطانية[١٨]. وكانت بذلك ذات أهمية عظمى توازي في عملها تدابير الاتصال ما بين البريطانيين والصهاينة في لندن . وقد وسعت المنظمة الصهيونية هذه البعثة التي عملت في فلسطين في ظل نفس ظروف امتيازات المنظمة الصهيونية في بريطانيا العظمى[١٩] فأرسل ستة صهاينة قياديين ليدعموا المصالح الصهيونية في فلسطين[٢٠] . وفي عام ١٩٢٠ غير اسم البعثة الى « الهيئة التنفيذية الصهيونية في فلسطين » .

وفي ضوء الاهمية المتزايدة لمتطلبات برنامج هرتسل المتعلقة باحتلال فلسطين ، كان الصهاينة يمهدون السبيل لنجاح المرحلة الثانية من سياسة الصهيونية السياسية ، فقد رُبحت المعركة « السياسية » وحان الوقت للالتفات الى المعركة « العملية » . والكفاح التالي يجب أن يبنى على أساس الحصول على مركز ودي لدى السلطات البريطانية . ولم يكن تعيين هربرت صموئيل أول مندوب سام لفلسطين ذا دلالة بسيطة في أعين الصهاينة ، مع أنه ظهر فيما بعد[٢١] ، مخيباً لآمال اليهود الى حد ما . وقد كشف (ذلك) الدكتور وايزمن معلقاً بعد عام على هذا التعيين فقال :

> كنت مسؤولاً بشكل رئيسي عن تعيين السير هربرت صموئيل لفلسطين . فالسير هربرت صموئيل صديقنا ، وقد قبل ذلك المنصب الصعب نزولاً عند طلبنا. نحن عيناه في ذلك المنصب . إنه صموئيلنا .

الشعوب العربية

كان ظل خطر محدق يهـدف الحركة الصهيونية يتكاثف في الخلف طوال تاريخ الصهيونية السياسية . ذلـك هو ظل العرب الذين تنتمي اليهم الأغلبية الساحقة من سكان فلسطين حق وصول الصهيونية الى تحقيق هدفها . ولعل الصهاينة قـد تبينوا من أن تحقيق هدفهم يعني بالضرورة إخراج السكان العرب من ديارهم . ولذلك تجنبوا جادين مواجهة هذه المعضلة[٢٣] . فاذا كان الامر كذلك ، فان اهمالهم للمقاومة العربيـة كان إنذاراً باضطرابات لاحقة . وهكذا تجاهل الصهاينة مشكلة كانت أعظم تهديـد لمستقبل اليهود في فلسطين .

ومنـذ اللحظات الأولى لنشوء الصهيونيـة السياسية جاء التحذير من مخاطر بناء الدولة اليهوديـة على حساب الشعوب الأخرى من داخـل الحركة نفسها . فان أحد الأسباب الرئيسية لتأكيد هرتسل على أهمية الاعتراف قبل الاستعمار كان خوفه من أن يأتي أمـر تجريد النـاس من أملاكهم بقوى مناوئـة للصهيونية[٢٤] . وفي الوقت نفسه ، سنة ١٨٩٧ ، حذر آحـاد هاعام ، زعيم الصهيونية الثقافية ، من أي إهمـال من جانب الصهاينة ، غير متفكر فيه ، أو لا يتوخى الخير لمصالح العرب[٢٥] . وبعد ذلك بعشر سنين ضمّن إسحاق إبشتاين هذه الأمور المتعلقة بالعرب في اقتراح لعمل إيجابي في هذا الشأن . فقال : « ... على الصهاينة أن يتوصلوا إلى حلف مع العرب... »[٢٦] بيد أن هذه

الاقتراحات لم نجد غير آذان صماء . فقد أقصى الصهاينة عن تفكيرهم اعتبار العرب، وأصغوا بعطف لرجال من مثل زانغويل الذي قال : « أعطوا البلاد التي ليس فيها شعب للشعب الذي ليس له بلاد . »[٢٧]

ظهرت أولى بوادر معارضة العرب للصهيونية في المقاومة المصرية لمشروع إسكان اليهود في شبه جزيرة سيناء ، مما ذكر من قبل[٢٨] . وكانت البادرة الثانية احتجاج النواب العرب في المبعوثان التركي سنة ١٩١٢ على حصول اليهود على مساحة واسعة من الأرض في فلسطين[٢٩] . فأخذت بموقف العرب حكومة تركيا الفتاة ، التي كانت راودتها فكرة الاتفاق مع الصهاينة . فزال بذلك خطر الصهيونية ، إلى أن أُصدر تصريح بلفور .

على أثر إعلان تصريح بلفور أشار آحاد هاعام ، محقاً ، إلى أنه « إذا بنيت دارك ... في مكان فيه دور مسكونة أخرى فإنك سيد متفرد حتى بوابتك الأمامية فقط ... أما فيما وراء البوابة فكل السكان شركاء ... »[٣٠] غير أن أغلبية الصهاينة لم يعبأوا بمثل هذه الأفكار واستمروا ينشدون « ... تلك الحقوق والامتيازات التي تتيح لهم أن يجعلوا فلسطين يهودية قدر ما هي إنجلترا انجليزية ... »[٣١]

كانت الدهشة رد فعل العرب لإذاعة تصريح بلفور فابتدأ البريطانيون سلسلة طويلة من التطمينات (للعرب) رغبة منهم في الحفاظ على علاقات الصداقة التي أقاموها معهم في أثناء الحرب. وفي أوائل عام ١٩١٨ طمأن هوغارث شريف مكة[٣٢] بقوله :

« سوف يسمح باستيطان اليهود في فلسطين في حدود ما يتمشى مع الحرية السياسية والاقتصادية للسكان العرب وحسب . »[٣٣] فرحب الشريف بدوره بقدوم اليهود الى الأراضي العربيـــة على أن يفهم أن دولة يهوديـــة في فلسطين ان تكون وشيكة النشوء[٣٤] .

وجاء وايزمن بعد ذلك ليطمئن العرب . فعقد اتفاقية مـع فيصل في أوائل عام ١٩١٩[٣٥] أعلنت الصداقة العربية اليهودية[٣٦] . وقد أعطى الأمير فيصل هذا العهد على أساس أن يكون معلوماً بأن العرب سيمنحون الاستقلال وحق تقرير المصير ، كما وُعدوا في السنة السابقـــة في تصريح السبعة وفي التصريح الإنجليزي الفرنسي[٣٧] . ويقال إن فيصل كتب أيضاً رسالة يعبر عن تأييده القوي للصهيونية الى فيلكس فرانكفورتر ، وهو زعـيم صهيوني أمريكي . على أنه حين اثير الموضوع بعد سنين قال فيصل إنه لا يتذكر أن كتب مثل هذه الرسالة . ولم يستطع الصهاينة أن يأتوا بالوثيقة الأصلية[٣٨] .

وبقطع النظر عما كان عليه موقف فيصل من الصهيونيـــة ، فإنها تبقى حقيقة أن الأغلبية العظمى من العرب كانت تنظر إلى الصهيونية بارتياب . أضف الى ذلك أن فيصل نفسه قد التبس عليـــه الأمر وكان ناقص الاستعداد في المفاوضات الكثيرة التي أجراها بعيد الحرب[٣٩] ، وبدا واضحاً أنه لم يدرك كامـــل أهمية ما كان يدور حوله .

وحين بدأ الصهاينة فعلاً في استعمال نفوذهم في فلسطين ، كان

رد الفعل العربي مقاومة عنيفة وموحدة . ففي نيسان ١٩٢٠ تحولت علاقات الصداقة التقليدية بين عرب فلسطين ويهودها إلى بغضاء عربية وهياج في القدس[٤٠] . وفي أيار ١٩٢١ نما الهياج في القدس ، وأصدر مؤتمر فلسطيني عربي منشوراً يحتج فيه رسمياً على تصريح بلفور[٤١] .

وبالرغم من أن البريطانيين استمروا في محاولتهم تطمين العرب فإنها تبقى حقيقة أن « ... بريطانيا العظمى بإصدارها تصريح بلفور ، وبتحملها فيما بعد انتداباً على فلسطين انطوى على بنود (هذا التصريح) ، قد قدرت على إحدى الطائفتين المعنيتين أو على الأخرى بقساوة مأساة مخيفة ...»[٤٢] وهكذا ، فإن عودة ونستون تشرتشل سنة ١٩٢٢ بالتوكيد على أن الحكومة البريطانية لا تقصد فلسطين يهودية كليـــاً ، كانت ضعيفة الأثر في تطمين العرب . ولم يعـــرف العرب الظروف التي جنّد الصهاينة فيها — بأصدق معنى للكلمة — الحكومة البريطانيـــة لتخدم أغراضهم . ولكنهم عرفوا بأنهم مواجهون بحقيقـــة إخراجهم من ديارهم والقضاء على حريتهم بسبب الصهيونية التي انقضّت عليهم[٤٤] . ويمرور الوقت ثبت أن لقلقهم ما يبرره. ففي أثناء فترة الانتداب جيء إلى فلسطين بحـــوالي ٣٠٠,٠٠٠ مهاجر يهودي لينافسوا العرب ولينتزعوا فلسطين للمنظمة الصهيونية . وعلى حد تعبـير مؤرخ بريطاني عظيم ، أنه لا جدل في أن هذا قد تم « ... بتسلط إنـكلترا على إرادة الشعب.. »[٤٥] وكان ينبغي عليه أن يضيف أنه من أجل استقطاب تلك السلطة في الواقع عمل الدبلوماسيون

الصهيونيون في بريطانيا منذ ١٩١٤. فبلغوها باستئثارهم بالرجال ذوي الأمر . تلك كانت خطتهم وذاك كان انتصارهم .

التصديق على الانتداب

وجد الصهاينة أنفسهم عام١٩٢١ مواجهين بعقبات للتصديق على مسودة الانتداب الذي وافقت عليه الوزارة البريطانيـــة والمنظمة الصهيونية . ففي أيار نشبت اضطرابات بـــين العرب واليهود في يافا . وباتت مسألة الحقوق والمطامح الصهيونية مثار جدل دولي . وبعد هذه الاضطرابات وصل الى لندن وفد عربي برئاسة موسى كاظم باشا وبسط ظلامته لأعضاء البرلمان البريطاني ولوزارة المستعمرات[٤٦] .

وفي هذا الوقت طرأ تعديـــلان على مسودة الانتداب التي عرضت على مجلس العصبة في كانون الأول ١٩٢٠[٤٧] . فقـــد أضيفت العبارة المتعلقة بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غـير اليهودية الموجودة في فلسطين إلى ديباجة المسودة الجديدة ، بينما ظهرت في إحدى مواد مسودة عام ١٩٢٠ فقط . ومع أن هذا التعديل لم يكن عظيم الأهمية ، فإنه أظهر اهتماماً عاماً بتهديـد الصهيونية المتوقع لحقوق عرب فلسطين .

وكان التعديل الثاني أكثر أهمية بكثير . فقد أضيفت مادة جديدة تحدد تصريح بلفور في أنه لا يمكن أن يطبق على المنطقة الواقعة شرقي الأردن . فكان هـذا التحديد الذي أدرج ليسمح

لبريطانيا العظمى أن تمنح شرقي الأردن إمارة لعبدالله ، تقليماً خطيراً للمطامح الصهيونية الأصلية ، ألا وهي إنشاء دولة يهودية في فلسطين تشتمل على شرقي الأردن .

فكان أن قرر وايزمن ، بسبب من هـــذه النكسات أولاً ، وليجمع المال ثانياً ، أن يقوم بجولة على العواصم الأوربية [٤٨] . فسافر أولاً إلى روما، حيث أجرى مباحثات مع ممثلي الفاتيكان والحكومة الإيطالية . فطمأن الفاتيكان أن لا علاقة للصهيونيـة بالأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين . وهدأ مخاوف الحكومة الإيطالية من أن يصبح الانتداب على فلسطين قناعاً لإنشاء معقل بريطاني في البحر الأبيض المتوسط[٤٩] . ومع كلا الفريقين حاول أن يفصل ما بين الصهيونية والبريطانيين ، الذي كان ينظر اليهم باعتبـارهم مصدر خطر ممكن لمصالح الفاتيكان والحكومـــة الإيطالية .

ومضى وايزمن بعد ذلك إلى برلين لجمـــع الأموال . ثم الى باريس لجمع المعونات وللتباحث مع الرسميين الفرنسيين . فتحدث مع السيد دي مونزي . وأثار مـع الجنرال غورو مسألة الحدود الشمالية لفلسطين [٥٠] . وفي هـــذا الوقت استمر الفرنسيون في تأكيد حقهم في الانتداب على سوريا كلها . ولم يشاءوا أن يعطوا موافقتهم على انتداب فلسطين قبـــل أن تصل مسألة الانتداب الفرنسي على سوريا إلى حل نهائي [٥١] . لذلـك لم يبلغ وايزمن سوى تقدم ضئيل مـــع الجنرال غورو ، الذي امتعض لفصل فلسطين عن بقية سوريا ، وشعر بأن قضية الانتداب بكاملها على

فلسطين إن هـي إلا غطاء لتوسيع النفوذ البريطاني في الشرق الأدنى[٥٢] . وكان اهتمام وايزمن الأولي ، بطبيعة الحـال ، أن يقنع الفرنسيين بأن مياه الليطاني ذات أهمية حيوية لفلسطين ، ولا بد من شمولهـا ضمن الانتداب على تلك المنطقة[٥٣] . وكما اشتمل المطلب الصهيوني الأصلي على شرق الأردن فإنـه اشتمل أيضاً على ما يعرف الآن بلبنان الجنوبي[٥٤] . بيد أن وايزمن لم يصب نجاحاً لدى غورو ، وتبعاً لذلك أصبحت ميـاه الليطاني ضمن منطقة الانتداب الفرنسي .

حينما كان وايزمن في أوربا يجرب أن يحـول دون أي تغيير جديد لمسودة عام ١٩٢٠ للانتداب ، ويجهد في معاكسة تأثير الوفد العربي على الدوائر السياسية في لندن ، كانت الهيئة التنفيذية الصهيونية في العاصمة البريطانيـة مشغولة بمراسلات ومحادثات واسعة مـع وزارة المستعمرات للحؤول دون أي تغيير آخر في مسودة الانتداب[٥٥] . وفي هذه الأثناء كانت مناوأة الصهيونية تنتشر في بريطانيا العظمى ، فلقد عزى تقرير لجنة هايكرافت ، التي حققت في حوادث أيار في يافا ، انفجار العنف للظلم الذي أصاب العرب بسبب من المخطط الصهيوني ، ولانحياز البريطانيين لليهود ، ولعدد اليهود غير المتناسب في الوظائف العامة ، ولاتساع سلطة البعثة الصهيونية الزائـد عن الحد[٥٦] . وانتقد التقرير كذلك الدكتور إدر ، رئيس البعثة الصهيونية لاقتراحه بأن لا يسمح لغير اليهود بحمل السلاح . وهاجم (التقرير) الصهاينـة لرفضهم الاعتراف بوجود تقاليد قومية عند العرب .

أثار هذا الانتقاد المسيء لسمعةالصهيونية لما فعلتهفي فلسطين اتجاهاً كان قد ابتدأ أصلاً ضد الصهيونية في بريطانيـا العظمى . فابتدأت بعض الصحف البريطانية حملة على الصهيونيـــة . وفي مجلساللوردات أقر اقتراح تقدم به اللورد إزلنجلتونوغيرهيدعو إلى نقض تصريـح بلفور [٥٧] . وفي هذا الوقت عاد وايزمن إلى لندن ، فكانت مهمته الأولى أن يحول دون اقرار اقتراح مشابه في مجلس العموم. ويصف وايزمن نجاحه في هذه المهمة فيالكلمات التالية : « وكان لنا حظ أحسن في مجلس العموم بسبب أبطال كالسيد تشرشل والميجر أورمسبي – غور . فخذل بشدة اقتراح مشابه . »[٥٨]

على أن وايزمن، بالرغم من تحاشي الـــكارثة في آخر لحظة، قد أرغم على قبولنكسة ليس منها مفر. فقد اضطرت الحكومة البريطانية أن تفعل ما من شأنه تهدئة الاعتراضات على تحيزهـــا للصهيونية . لذلك نشر في الأول من تموز ١٩٢٢، بيان في تعديل السياسة البريطانية حول الصهيونية وفلسطين ، عرف بكتاب تشرشل الأبيض[٥٩] . وقد أنكر أنه كان في نية الحكومـــة البريطانية خلق فلسطين يهودية تماماً . كما (أنكر) أن يكون الممثلون الصهيونيون في فلسطين قد أعطوا مركزاً خاصاً أو أُشركوا في الإدارة العـــامة للبلاد . وجـــاء (الكتاب الأبيض) أيضاً بمبدأ المقدرة الاقتصادية للاستيعاب ، فيما يتعلق بالهجرة اليهوديـــة إلى فلسطين ، واستثنى شرق الأردن من فلسطين .

اعتبر وايزمن كتاب تشرشل الأبيض حداً من تصريح بلفور. ولكنه قبل به طالما أنه يؤكد حق اليهود في إنشاء وطن قومي في فلسطين[٦٠] . ولم يعتبر ، إلى ذلك ، إقرار مبدأ المقـــدرة الاقتصادية للاستيعاب عقبة حقيقية للهجرة اليهودية إلى فلسطين على نطاق واسع ، وذلك إذا اهتم الصهاينة بأمر زيادة المقـدرة الاقتصادية للاستيعاب مع مرور الوقت . أضف إلى ذلك أن الكتاب الأبيض قد نجح في خذل معارضة الانتداب في البرلمان البريطاني[٦١] ، وفي ٢٤ تموز ١٩٢٢ وافقت تلـــك الهيئة على الانتداب[٦٢] .

كان وايزمن ، أولاً وأخيراً ، سياسياً واقعياً. فواجه معارضة لقبوله بكتاب تشرتشل الأبيض في أثناء انعقاد المؤتمر السنوي للمنظمة الصهيونية العالمية في كارلسباد ، في تموز وآب من عـام ١٩٢٢ . وقد أصر كثير من الصهاينة على أنه كان على وايزمن أن لا يقبل بغير ميثاق يهودي . فرد وايزمن على ذلك بأن الكتاب الأبيض أمر واقع وليس كذلك الميثاق[٦٣] . و (وايزمن) يحبذ دائماً العمل بما هو واقع بدل الإلحاح على المطلب المحال . ولا يعني هذا أنه يرضى للصهيونية بحلول الوسط. ولكنه يرى أن الفائدة هي في بلوغ الهدف على مراحل ؛ وأن الحكمة تقتضي النظر إلى التطورات السياسية بواقعية تامة . مثال ذلك أن عدم إلحاحه على المطالب الصهيونيـــة في شرق الأردن كان لاعتقاده بأن شرق الأردن ستصبح فيما بعد جزءاً مكملاً للدولة اليهوديـــة يوم تنجز مهمة بناء فلسطين . وقـد أكد في خطاب في القدس عام ١٩٢٦

على أن « الطريق إلى جسر ألنبي الذي سنعبره إلى شرق الأردن لن ترصف بالجنـــود ولكن بالعمـــل اليهودي وبالمحراث اليهودي. »[٦٤] إنه لم يخرج قط عن الأهداف السياسية للصهيونية، ولكنه كان مستعداً للتسوية المؤقتة للوصول إلى النجاح النهائي. وقد اعتبر أيضاً أن التسويات القصيرة المدى لن تكون ملزمة. وقـال مرة معلقاً على الأهمية النسبية للتصريحات والبيـــانات والوسائل بأنها اطارات يمكن أن تملأ أو لا تملأ . « ليس لها في الواقع شأن ما لم تدعم بالتطبيق الحقيقي ... »[٦٥]

لقد مهد كتاب تشرتشل الأبيض الطريق لقبول عصبة الأمم للانتداب، وأكد حق الصهاينة في استعمار فلسطين. وبصورة عامـة شق الطريق لبداية صهيونية حقيقية في فلسطين. لقـد احتفظ بالدعم البريطاني ومهد الطريق لهجرة يهودية. وذلـك مطلب هام في مخطط هرتسل. وواجهت الصهيونية بعد ذلـك مسألة إعادة تنظيمها ليتسنى لها الاضطلاع بالمهمة اللاحقـة. ثم واجهت مشكلة التوصل لدعم يهود العالم لها.

الفصل الرابع

نمو الصهيونية السياسية

إعادة تنظيم الحركة

تبين زعماء المنظمة الصهيونية عند انتهاء الحرب العالمية الأولى شدة الحاجة لإدارة تنظيمية قادرة على الاضطلاع بالعمليات المتسعة للحركة . فدعا وايزمن وسوكولوف في شباط ١٩١٩ إلى عقد مؤتمر صهيوني في لندن [١] . وفي هذا الاجتماع عين وايزمن رئيساً للهيئة التنفيذية ، وهو شرف لم يمنحه من قبل ، بالرغم من أنه خدم ، بشكل واقعي ، كزعيم للمنظمة الصهيونية مدة سنين . وأنشىء أيضاً مكتب مركزي في لندن ، حل محل المكتب الصهيوني الذي كان قد أوجد في لندن بعد اعلان تصريح بلفور ، وذلك للقيام بالعمل السياسي اللازم لتوكيد تطبيق التصريح . والواقع أن هذا الاجتماع قد أسبغ براءة شرعية على

المكتب السياسي الموجود واقعيـــاً والذي كان يعمل من خلاله وايزمن وغيره من الزعماء الصهيونيين في إنجلترا . وقد شكل منها وفداً ليمثل الصهيونيـــة في مؤتمر الصلح وليكون هيئة واحدة منبثقة من الوفود اليهودية المتعددة الآتية من أمم مختلفة في مؤتمر الصلح[٢] .

وفي صيف عام ١٩٢٠ عقد اجتماع صهيوني ثانٍ بعد الحرب في لندن . وانتخب وايزمن في هذا المؤتمر رئيساً للمنظمة الصهيونية مؤكداً بذلك الزعامة التي تبوأها بشكل واقعي منذ سني الحرب، ونصب رفيقه ناحوم سوكولوف رئيساً للهيئة التنفيذية[٣] . وقد أقر الاجتماع ، إلى ذلك ، القرارات التالية : (١) إن المنظمة عازمة على أن تتعايش بسلام مع الجماعات غير اليهودية في فلسطين، (٢) إن جميع الأراضي التي يستعمرها اليهود في فلسطين تصير في النهاية ملكاً عاماً للشعب اليهودي ، (٣) إن صندوقاً قوميـــاً يهودياً سينشأ لتوظيف التبرعات الطوعية لجعل أراضي فلسطين ملكاً عامـــاً للشعب اليهودي ، (٤) إن مكتباً مركزياً للهجرة سيوجد في فلسطين ومكاتب فلسطينية في جميع البلاد المتوقع أن تأتي منها فرق المهاجرين الشباب .

وهكذا ركز الاجتماع اهتمامـــه على المطلب الثاني في مخطط هرتسل وهو الاستعمار اليهودي لفلسطين . فوضع هيكل مـــا أصبح فيما بعد منظمة متشعبة للهجرة ، وانشىء صندوق خاص لتطبيق سياسة (شراء) الأراضي بحيث تتمشى مع سياسة الهجرة. وقد سُمّي الصندوق الذي كان قد انشىء عام ١٩١٧ ، الكيرن

هايسود ، او الصندوق التأسيسي . ونص على أن يحول ٢٠٪ من التبرعات لهذا الصندوق إلى الصندوق القومي اليهودي[٥] ، وأن يستثمر ثلثا الباقي في مؤسسات وطنية دائمة أو في مشاريع انمائية في فلسطين . وبذلك يجري احتلال فلسطين بالتدريج عن طريق هجرة يهودية ينظمها الصهاينة ، ومن خلال شراء الأراضي ضمن نظام من الصناديق القومية التي تضبطها المنظمة الصهيونية ويجب أن ينظر الى قرار المؤتمر بالتعايش السلمي مع الجماعات غير اليهودية في فلسطين على ضوء برنامج التملك المخطط له .

عين اجتماع ١٩٢٠ لجنة للدعوة إلى مؤتمر صهيوني . فعقد بذلك في كارلسباد في أيلول ١٩٢١ أول مؤتمر صهيوني منذ فترة ما قبل الحرب[٦] — وهو المؤتمر الثاني عشر. فأكد المؤتمر معظم قرارات اجتماع ١٩٢٠ . وصرح بأن عداوة العرب لن تضعف من تصميم الصهاينة على العمل لتحقيق أهداف الحركة . وقد قسمت الهيئة التنفيذية ، أو لجنة الأعمال الداخلية ، إلى شعبتين ، كان على إحداهما أن تقيم في فلسطين . وكانت لجنة الأعمال ، أو المجلس العام ، مؤلفة من أعضاء من الهيئة التنفيذية وممثلين عن الكيرن هايسود ، الصندوق القومي اليهودي ، والشركة الاستعمارية اليهودية — وهي مصرف أسس في أوائل أيام الصهيونية السياسية ليكون أداة مالية للمنظمة[٧] . وقد حل محل المؤتمر السنوي مجلس مركزي مؤلف من لجنة الأعمال وممثلين عن الاتحادات المستقلة والمؤسسات المالية والموظفين المهتمين بشؤون

المؤتمر .

انتهى المؤتمر الصهيوني الثـــاني عشر بتثبيت وايزمن رئيساً للمنظة وسوكولوف رئيساً للهيئة التنفيذيـــة[٨] . فكان وايزمن ههنا على رأس منظمة متشعبة تضم من المكاتب ما يلزم لتحقيق أغراض الصهيونية السياسية . وكان يليه مكتب مركزي مهمته الحفاظ على الاتصال السياسي بوزارة المستعمرات في الحكومـة البريطانية ، مهيئاً بذلك جهازاً يحافظ على التأييـــد البريطاني ويراقب نشاط الصهيونية في جميع أرجاء العام . ويلي المكتب المركزي مجموعة تنفيذية مؤلفة من الهيئتين التنفيذيتين في لنـدن وفي فلسطين ، ولجنة الأعمال ، والمجلس المركزي . وقـد بقيت مكاتب لندن على علاقة وثيقة بعصبة الأمم[٩] ، والحكومـــة الفرنسية ، والحكومة الإيطالية من خلال مكاتب خاصة . وقد سيطرت كذلك على صناديق الاستعمار وتلقت النصيحة في المسائل المالية من المجلس المالي والاقتصادي . وحلت الهيئة التنفيذيـــة الفلسطينية محل البعثة الصهيونية في فلسطين، وأوكلت بالإشراف على الطائفة اليهودية في فلسطين[١٠] ، والهجرة اليهودية إلى هذا البلد .

ورتب وايزمن أمر تعيين ضابط بريطاني يهودي العقيدة على الهيئة التنفيذية الفلسطينية ، وذلك لضمان بقاء (هـذه الهيئة) على علاقة حسنة بالإدارة البريطانية أيضاً . ولما استقال الدكتور إدر ، زعيم التنفيذية الفلسطينية، في نهاية عام ١٩٢٢ من منصبه، تقرب وايزمن ، في بحثه عمن يحل محله ، من الجنرال ماكدونوف،

في الاستخبارات البريطانيـة ، وسأله أن يقترح مرشحاً « ... ينتمي للعالمين الإنجليزي واليهودي ... »[١١] فاقترح ماكدونوف الكولونيل فردكيش ، عضو الاستخبارات العسكرية . وهـو ضابط بريطاني بكل معنى الكلمة ، وابن يهوديّ من شرقي أوربا كان ينتمي لجماعة شوفيفي زيون. فكان كيش هو الرجل المطلوب من كل وجهات النظر . وهو يعرف المندوب السامي صموئيـل ، وباستطاعتـه كسب احترام الضباط البريطانيـين في الإدارة الفلسطينية ، وبإمكانه أن يألف الصهاينـة . وكان متدرباً على الاستخبارات ، مفتاح الدبلوماسية الصهيونية. وإنه لغريب حقاً أن لا تثار مسألة الولاء المزدوج في حالة كيش . بيد أن وايزمن كان دائماً عبقرياً في جعل ما يعتبر بشكله الاعتيادي غير طبيعي يبدو سليماً ومعقولاً .

نجح وايزمن في المحافظة على التأييد البريطاني وتقويته ، وفي إرساء أساس الاستعمار اليهودي في فلسطين، وذلك بإقامة جهاز متقن التنظيم للمحافظة على الفائـدة المكتسبة من الحكومـة البريطانيـة في إبان سني الحرب وللاتيان باستعمار يهـودي في فلسطين . فووجه بعد ذلك بمشكلة تحقيق المتطلب الثالث لمخطط هرتسل، ألا وهو الفوز بتأييد يهود العالم لقضية الصهيونية السياسية . ولقد كانت الاتحادات الصهيونية والاتحادات المستقلة والجمعيات المستقلة موجودة أصلاً في جميع بلدان العـالم . ولكن الوسيلة لاستقطاب مجموعات كبيرة من اليهود غير الصهيونيـين كانت مطلوبة . فاختيرت الوكالة اليهوديـة لتضطلع بهـذا

العبء .

توسيع مهام الوكالة اليهودية

نص كتاب الانتداب على فلسطين أن « ... وكالة يهودية مناسبة سوف يعترف بهـــا كهيئة عامة لإرشاد إدارة فلسطين وللتعاون معها في المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها مما قد يؤثر على إقامة وطن قومي يهودي ، وعلى مصالح السكان اليهود في فلسطين ... »[١٢] وكان على المنظمة الصهيونية أن تقوم مقام مثل تلك الوكالة ، تبعاً لكتاب الانتداب . لذلـك فإن المنظمة الصهيونية في الاجتماع الصهيوني المنعقد في كارلسباد في آب وأيلول من عام ١٩٢٢ قبلت رسمياً بحقوق الوكالة اليهودية وواجباتهـا ، معبرة عن الرغبة في أن « الوكالة اليهودية سوف تمثـــل الشعب اليهودي برمته[١٣] . »

لقد كان من الصعب اعتبار الوكالة اليهودية التي كانت وسيلة للمساعدة في تحقيق غرض الصهيونية السياسية ، ممثلة ليهود العالم الذين كانوا بعيدين عن أن يكونوا صهيونيين كتلة واحدة . غير أن فكرة توسيع مهام الوكالة اليهودية بدت لوايزمن حلاً ممتازاً لمشكلة تحقيق المتطلب السياسي الثالث من مخطط هرتسل، وهو الفوز بتأييد يهود العالم . ولقـــد نظر إلى الصندوق التأسيسي الفلسطيني باعتباره حلقة وصل بالصهيونيـــة لأولئك الراغبين في المساعدة لا في المشاركة . ولكنه رأى ذلـك غير كافٍ كوسيلة

لاستقطاب قوى اليهودية العالمية [١٤] . لذلـــك أضحى داعية لتوسيع مهام الوكالة اليهودية[١٥] .

ولكن عقبة وقفت بين وايزمن وبين تحقيق خطته، ألا وهي معارضة الصهاينة لتوسيع مهام الوكالة اليهودية . فقـد اعتبرت مجموعة براندیز أن التوسيع غير ضروري ، وخشي غيرهم من سطوة غير الصهاينـــة في الوكالة . على أن زعامة الصهيونيـــة الأمريكية، لحسن حظ وايزمن، انتقلت من بين يدي براندیز[١٦]. وفي شباط ١٩٢٣ قررت لجنة الأعمال « أن الجهـــة الحاكمة في الوكالة اليهودية ستكون مسؤولة أمام هيئة تمثـــل الشعب اليهـــودي . »[١٧] وفي الوقت نفسه قررت اللجنة أن تقوم بمباحثات مع الأوساط اليهودية القيادية لكسب مشاركتهم في الوكالة اليهوديـــة [١٨] . وفي مؤتمر عام ١٩٢٥ ، عارض التوسيع حزب عرف « بالتصحيحيين » ، يقوده فلاديمير جابوتنسكي على أساس أنه لا يمكن ائتمان يهود ينقصهم الإيمان القومي القوي على السياسة الصهيونية[١٩] . غير أن المؤتمر ارفض بقرار يؤيد إنشاء مجلس للوكالة اليهودية مؤلف من يهود صهيونيين وغير صهيونيين بالتساوي [٢٠] . وقـــد حدد أيضاً على الوكالة اليهودية وجوب الاعتماد في نشاطها على المبادىء التالية : (١) تطوير حجم الهجرة اليهودية إلى فلسطين بشكل دائم التزايد، (٢) استرداد الأراضي في فلسطين كملكية يهودية عامة ، (٣) الاستعمار الزراعي المبني على العمل اليهودي ، (٤) نشر اللغـــة العبرية والـــتراث في فلسطين[٢١] .

لقد باتت الطريق الآن واضحة تماماً لتحقيق خطة وايزمن . وبالرغم من أن المسألة بقيت مثـار جدل حتى عام ١٩٢٩ ، فقد وافق المؤتمر على توسيع مهـام الوكالة ، ووضعت حدود تضمن تحقيق السياسة الصهيونية، وأعطى المؤتمر ضمانات أبعد من ذلك، فقد أصر على أن يصبح رئيس المنظمة الصهيونيـة رئيساً للوكالة اليهودية الموسعة . وأقر أيضاً أن يكون من بين المشاركين غـير الصهيونيين ٤٠٪ من أمريـكا التي احتوت عدداً كبيراً من اليهود غير الصهيونيين ، وكانت لذلك هدفاً رئيسياً في عمليـة الحصول على دعم يهودي عالمي .

حين وضـع وايزمن لأول مرة خططه لتوسيع مهام الوكالة اليهودية ، كتب يقول :(٢٢)

« لعله يبدو أن هنـاك طريقتين لاجتذاب اليهود غير المستعدين لدعوة أنفسهم صهاينة إلى العمل لفلسطـين – طريقتين لإيجـاد الوكالة اليهودية . إحداهمـا في تنظيم « مؤتمر عالمي يهودي » ذي صلاحيات كاملة ... (والأخرى) في دعـوة المنظمات الكبيرة المختلفة التي تعمل أصلاً في مجالات أخرى للانضمام الينا من غـير تزوير لهوياتها . وكانت الطريقة الثانية هذه هي التي تقدمت أنا بها ، ونفذت في النهاية . »

ولما قرر وايزمن استقطاب المنظمات اليهودية غير الصهيونية لتنضم إلى عمل الوكالة واجتذاب أتباعها بالتالي ، من غير مـا

تبصر منها للحركة الصهيونية ، فإنـه لم يفرط بأي وقت لتركيز انتباهه على الولايات المتحدة . فسافر إلى هنـاك سنة ١٩٢٣ . وتقرب حـالاً من زعيم اليهودية الأمريكية المعترف به — لويس مارشال[٢٣] . وكانت له صلة غير مباشرة بمارشال منـذ سنة ١٩١٩ ، فـلم تكن ثمـة ضرورة للتمهيد . وتوصل وايزمن الى اجتذابه بسهولة نسبية ، مستعملاً من الوسائل لاقنـاع مارشال بأنه (أي مارشال) رجل الساعة بالنسبة ليهود العالم . وتقرب بعد ذلـك من فيلكس واربرغ وهو زعيم يهودي أمريكي آخر . وقد تحدى وايزمن ذلك الأمريـكي أن يذهب الى فلسطـين ليرى بنفسه العمل الذي يقوم به المعمرون الصهاينة[٢٤] . فلبى واربرغ التحدي ، وتجول برفقـة فردكيش في فلسطين ، ثم عاد صهيونياً مؤمناً . وقد علق وايزمن على ذلك بقولة : « ندر أن شاهدت تحولاً (في المعتقد) أكمل من هذا[٢٥] » .

وأخذ يهود أمريـكا في الانضمام إلى الحركة الصهيونيـة ، والمساعدة في عملها وتحمل كثير من عبئها المالي ، وذلـك من خلال مارشال وواربرغ . وكان بسبب ذلـك أن حدد مؤتمر ١٩٢٥ أن يكون ٤٠٪ من تمثيل غير الصهاينة في الوكالة اليهودية من الأمريكيين .

وفي عام ١٩٢٧ اتفق وايزمن ومارشال رسميـاً على توسيع مهام الوكالة اليهودية حسب بنود الانتداب الفلسطيني وقرارات المؤتمرات الصهيونيـة[٢٦] . ثم أقر المؤتمر السادس عشر سنة ١٩٢٩ ما أيد توسيع مهام الوكالة وإقامـة مجلس وكالة ومكاتب

تابعة مؤلفة من الصهاينة وغير الصهاينة بالتساوي[٢٧] . وانعقد بعد المؤتمر مجلس تأسيسي للوكالة الجديدة . وتعهد غير الصهاينة أن يقفوا جنباً إلى جنب مع الصهاينة في العمل لفلسطين . وقد أكد مارشال وواربيرغ لوايزمن تأييد يهود أمريكا المالي والمعنوي[٢٨].

وحصل الصهاينة على عهد من الحكومة البريطانية مفاده أنه في حالة فسخ الشركة بين الصهاينة وغير الصهاينة فإن المنظمة الصهيونية وحدها هي التي سيعترف بها كوكالة يهودية[٢٩]. وذلك كضمانة أخرى لئلا يتحكم غير الصهاينة بالوكالة الجديدة . على أن هذه الضمانة لم تكن ضرورية ، لأن الصهاينة قد نجحوا في جعل الفرق اليهودية غير الصهيونية الهامة صهيونية ضمناً ، بإشراكهم في إنشاء الوطن القومي في فلسطين . وحين تبدأ الرحلة على هذا الدرب لن يكون لها عودة . أضف إلى ذلك أن اتجاهاً من شأنه أن يأتي بقطاعات ضخمة من يهود العالم الى الحركة الصهيونية قد سُلك بمرافقة هذه الفرق المؤثرة . ولم يكن في الولايات المتحدة وحدها أن اضطُلِع بهذا العبء . فعلى حد تعبير وايزمن « ... لقد كررت القصة نفسها في كل بلد يقطنه اليهود »[٣٠] إن المتطلب الثالث لمخطط هرتسل قد أخذ يتحقق تدريجياً ، والمعركة من أجل فلسطين قد جُعلت في حركة تامة .

الفصل الخامس

الاستراتيجيّة الصهيونية في الثلاثينات

كان عقد العشرينيات فترة إعداد للصهاينة ، ليس في مسألة بنـــاء الجهـاز لتطبيق سياساتهم فحسب ، ولكن في الشروع بالكفاح من أجل فلسطين، ذلك الذي بلغ ذروته في الثلاثينيات.

وقد برزت في لندن مشاكل قليلة بعد التصديق على الانتداب. وكان المحافظون في الحكم من تشرين الأول ١٩٢٢ ، حتى حزيران ١٩٢٩ ، فيما عـــدا الفترة القصيرة لوزارة ماكدونالد الأولى من كانون الثاني إلى تشرين الثاني ١٩٣٤ . وقد أيد المحافظون تصريح بلفور[١] ، فلم تطرأ بذلك أية عقبة بتغيير الحكومـات . وفي جنيف بدأت « بعثة الانتدابات الدائمـة » تعنى بقضية العرب الفلسطينيين عام ١٩٢٤ . ولكن الصهاينة إفتتحوا مكتباً خاصاً هناك في السنة التالية ، « فأظهرت الدورات اللاحقة لبعثـــة الانتدابات بالتدريج أثر [ذلك المكتب] ».[٢] وقد ساعدت

اتصالات وايزمن الشخصية بأعضاء البعثة المسؤولين على إيجاد موقف مؤيد للصهيونية لدى تلك الهيئة أيضاً .[٣]

وفي فلسطين ، وصلت الهجرة اليهودية الى ٣٤,٣٨٦ في عام ١٩٢٥[٤]، ولكنها هبطت في النصف الثاني من ذلك العقد بسبب ظروف من الركود المحلي . وبالرغم من ذلك فإنه في الفترة ما بين أول أيلول ١٩٢٠ ونهاية ١٩٢٩ قد هاجر ٩٩,٨٠٦ يهودي إلى فلسطين ، بينما غادر البلاد ٢٣,٩٧٧ فقط .[٥] وبعد إصدار كتاب تشرتشل الأبيض سنة ١٩٢٢ ، أقر برنامج عمالي لينظم هجرة العمال اليهود بمقتضى طاقة استيعاب فلسطين الاقتصادية[٦]. وقد ضمنت المنظمة الصهيونية إعالة كثير من المهاجرين مدة السنة الأولى لسكناهم في فلسطين[٧] . وكان الهستدروت ، أو الاتحاد العام للعمال اليهود، بمثابة وكالة تشغيل للقادمين الجدد[٨] . وفي عام ١٩٢٣ سمح لليهود الذين يملكون رأس مال قدره ٢,٥٠٠ دولار أو أكثر بالهجرة خارج نطاق برنامج العمال[٩] .

إن من المثير بشكل خاص أن نلاحظ موقف وايزمن من الهجرة اليهودية ، لأنه يفصح عن صفة الصهيونية السياسية فقد قال : « . . يجب أن نعمل على أن نوجه نحن هذا السيل ، وألا نسمح له أن يحرفنا عن غرضنا . »[١٠] فقد اعتبر زعماء الحركة الصهيونية وموظفوها المسؤولون أنفسهم طليعة منضبطة ونخبة داخلية لحركة وجدوا فيها الحل الوحيد للمسألة اليهودية . وقد تلون موقفهم حتى من اليهود باندفاعهم لإتمام عمل الصهيونية . فكانوا لذلك فارغي الصبر في أي شيء يتعلق بفلسطين مما لا

يسهم بوضوح في إقامة دولة يهودية ، وحقدوا على تلك الأشياء التي وقفت بأي شكل من الأشكال في وجه مصالح الحركة .

نشبت الاضطرابات بين العرب واليهود في القدس وفي مدن أخرى كنتيجة لخلاف ديني على حائط المبكى في القدس ، وذلك فور ارفضاض المؤتمر الصهيوني السادس عشر والمجلس التأسيسي للوكالة اليهودية الموسعة . فلامت بعثة شو ، التي حققت في الاضطرابات ، العرب لبدئهم المشكلة، ولكنها رددت رأي بعثة هايكرافت في أن السبب الأساسي كان معارضة العرب للوطن القومي اليهودي وللهجرة اليهودية[١١] . وقد أدانت البعثة سلطات الهجرة اليهودية في أنها تخلت عن المبدأ الذي قبلته المنظمة الصهيونية سنة ١٩٢٢[١٢] .

انزعج وايزمن لتوصيات بعثة شو بضبط الهجرة بشكل أشد ، وخشي أن يحال بين الصهيونية وبين ايجادها لأغلبية يهودية في فلسطين . فرتب بعد صدور التقرير مقابلة لرمزي ماكدونالد ، رئيس الوزراء العمالي الجديد ، بوساطة السيدة أستور[١٣] فتمت المقابلة في جنيف ، ولم يستلم وايزمن عهداً بالتأييد من ماكدونالد وحسب ، ولكن من السيد أريستيد بريان الفرنسي أيضاً .

غير أن الحكومة البريطانية بعثت فيما بعد بالسير جون هوب سمبسون إلى فلسطين ليحقق في مسألة الهجرة اليهودية. واستنتج سمبسون أن الاستعمار اليهودي قد سبب إجلاء كثير من العرب[١٤]. وقد أرفق تقريره بتصريح جديد للسياسة البريطانية

يعرف بكتاب باسفيلد الأبيض . وقد أقر الكتاب الأبيض أنه في مسألة فلسطين « ... هناك مهمتان ، واحدة بالنسبة للشعب اليهودي وأخرى للسكان غير اليهود . »[١٥] وأقر أيضاً « أن أي قرار متسرع بشأن هجرة يهودية إضافيـــة وغير محدودة سيشجب بشدة . . »[١٦]

فاستنفر الصهاينة لتحول الأحداث هـذا ، وتحركوا للعمل فوراً ليجزروا ذلـك المد . واستقال وايزمن من رئاسة الوكالة اليهودية ، «ثم ابتدأ صراع عنيف مع وزارة المستعمرات . . .»[١٧] ورفع جميع العاطفين على الصهيونية ، بما فيهم لويد جورج والجنرال سمتس وبلدوين وشامبرلـين أصواتهم محتجين . ونوقشت القضية في مجلس العموم[١٨] . فكانت حصيلة حملة الدعاية الصهيونيـــة التالية — التي عدت سابقة لتطور أسلوب عمل صهيوني جديـد بسبب حجمها ونجاحها — قرار ماكدونالد للإتيان بلجان من الوكالة اليهوديـــة والوزارة البريطانية لتبحث مـــع بعضها في الموقف[١٩] . وقد كان وايزمن في لجنة الوكالة اليهوديـــة ، التي كانت تحت توجيهه بشكل واسع بالرغم من استقالته .

كانت هناك نقطتان سعى وايزمن للحصول على موافقة لجنة الوزارة عليهما[٢٠] . أولاهمـــا أن التزام الانتداب لم يكن بـ ١٧٠,٠٠٠ يهودي مقـــابل ٧٠٠,٠٠٠ عربي ، ولكن بالشعب اليهودي . وقد أراد بذلك أن توافق الوزارة على أن التزامهـــا الأخلاقي باليهود يبرر ما قد يظن بشكله الاعتيادي استخفافاً لا أخلاقياً بالأغلبية العربية في فلسطين . وثانيتهما أن الوعد بالوطن

القومي اليهودي لا يمكن اعتباره محققاً . فكانت هـذه طريقة أخرى في القول إنه لا يجوز فرض قيود على الهجرة اليهوديـة . وفي الوقت نفسه حاول وايزمن أن يقنع لجنة الوزارة بأن العرب كانوا داءاً مسؤولين عن الاضطراب في فلسطين[٢١].

وقد تنكر رئيس الوزارة لكتاب باسفيلد الأبيض، كنتيجة لتأثير حملة الدعاية الصهيونيـة ، وبسبب الضغط السياسي الذي مارسه الزعماء العماليون اليهود على ماكدونالد [٢٢] . وقـد فعل ذلك في رساله رسمية إلى وايزمن مؤرخة في١٣شباط ١٩٣١[٢٣]. وفيما يلي من كلمات ، يلخص وايزمن أهمية تلك الرسالة :

... وقد كان لرسالة ماكدونالد لي أن تغير موقف الحكومة وموقف إدارة فلسطين ، مما مكننا من تحقيق المكاسب الرائعة في السنوات اللاحقة . وكان لرسالة ماكدونالد أن أذن للهجرة اليهودية إلى فلسطين أن تصل أرقامـاً تقارب الأربعين ألفاً سنة ١٩٣٤ ، واثنين وستين ألفاً سنة ١٩٣٥ ، أرقاماً لم نحلم بها سنة ١٩٣٠[٢٤].

وقد توّج نجاح وايزمن بتعيين السير آرثر واتشوب مندوبـاً سامياً في فلسطين ، وكأن انقـلاب سياسة ماكدونالد لم يكن كافياً . وقد قام ماكدونالد بالتعيين باستشارة وايزمن . وكان في ظل واتشوب أن قفزت الصهيونية قفزاتها في فلسطين[٢٥] .

وكما كان في الماضي فإن النكسة التي منيت بها الصهيونيـة بسبب تقرير بعثة أرسلت لترى بنفسها سبب القلاقل في فلسطين

قد عكست من جراء نشاط الدبلوماسية الصهيونيـة في لندن . لقد عكس قرار سياسي للحكومة معتمد على ما وجدته بعثتها الخاصة وذلـك من خلال الدعاية والضغط السياسي واستعمال مجندي الصهيونية في المراكز العليا. أما أولئك الذين قد يعجبون لماذا تبدو البعثات دائماً حازمة مع الصهيونية بينما تنفعل الوزارة بسهولة لإرضاء الصهيونية وقت الأزمات ، فقد أجبناهم من قبل. فأولئـك الذين ذهبـوا ليروا الموقف الحقيقي . تحققوا من أن الصهيونيـة إذ تدرك غرضها تفتـح ثغرة في شروط تصريح بلفور تتعلق بحقوق الطائفة غير اليهوديـة في فلسطين . فيبدون بذلك اعتراضهم وهم مـا زالوا أمناء على التصريح الذي كان عليهم الالتزام به . أما الوزارات ، في الجانب الآخر ، فإما أنها لم تفقه ما كان يجري أو أنها كانت مضطرة لتنظر بطريقـة أخرى بسبب الضغط الممارس عليها . وإن المنظمة الصهيونية في الثلاثينيات لم تكن كالمنظمة الصهيونيـة في سني الحرب . ففي تلك الأيام السابقة كان عليها أن تنتظر أصدقاءها حتى يرقوا الى السلطة أما في الثلاثينيات فإنها لم تتردد في أن تحني حق رئيس الوزراء لإرادتها ، إن كان ذلك ضرورياً .

أدى النجاح الصهيوني سنة ١٩٣١ إلى هجرة يهوديـة عظيمة التزايد إلى فلسطين بشكل يكاد يكون فورياً . ففي عام ١٩٣٣ ارتفعت أرقـام الهجرة اليهوديـة إلى ٣٢٧و٣٠ وفي عام ١٩٣٥ اعترف بضعفي ذلك العدد[٢٦] . فتقدمت الأحزاب العربيـة الخمسة في فلسطين في تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ بالمطالب التالية إلى

الإدارة: (١) ايجاد برلمان ديمقراطي، (٢) تحريم بيوع الأراضي (٣) وقف الهجرة[٢٧] . فأجاب المندوب السامي بأن أذاع أنه مخـــول بإنشاء مجلس تشريعي[٢٨] . وكان المؤتمر الصهيوني في الصيف السابق قد أعلن معارضته لإيجاد مجلس تشريعي، لأن مثل هذه المؤسسة من شأنها أن تقاص يهود فلسطين الى مركز الأقلية[٢٩] . لذلك رفض اليهود الفلسطينيون منح تعاونهم[٣٠] . وفي نيسان ١٩٣٦ سارع العرب في إعلان إضراب عام. وعينت الحكومة البريطانية بعثة ملكية لتحقق في الاضطراب[٣١] .

ولقـــد عزا تقرير البعثة الملكية الذي نشر في تموز ١٩٣٧ سبب القلائل الى رغبة العرب في استقلال قومي وكره لإقامـة وطن قومي يهودي وتخوف منه[٣٢] . فاقترح (التقرير) تقسيم فلسطين على أنه الحل الوحيد للمعضلة العربية اليهودية . فرفض المؤتمر العربي المنعقـد في بلودان في سوريا في أيلول ١٩٣٧ خطة التقسيم[٣٣] . في حين خول المؤتمر الصهيوني الذي اجتمع في آب ١٩٣٧ الهيئة التنفيذيـة بالدخول في مباحثات مع الحكومـــة البريطانية حول اقامة دولة يهودية في فلسطين[٣٤] . وقد أيـد وايزمن التقسيم كخطوة في الاتجاه الصحيح[٣٥] . ولكن الاختلاف بين أعضاء بعثة أرسلت لتحديد حدود التقسيم عام ١٩٣٨[٣٦] ، واستمرار العرب في التمرد[٣٧] ، قضى على الخطة بالفشل .

وعند تلبد غيوم الحرب في الأفق الأوربي، دعا البريطانيون إلى مؤتمـــر لندن سنة ١٩٣٩ ليحاولوا تصفية الخـلاف العربي اليهودي . وقد فرض كتاب مكدونالد الأبيض الشهير

الصادر في ١٧ أيار ١٩٣٩ قيوداً قاسية على الهجرة اليهودية[٣٨]. فأعلن المؤتمر الصهيوني الذي عقد في الخريف التالي عدم شرعية الكتاب الأبيض . ولكن العالم بعيد ذلـــك بقليل دوهم بحرب كونية ثانية ، وعلقت مسألة فلسطين ، فانتهت بذلـك المرحلة الثانية من قصة الدبلوماسية الصهيونية .

الفصل السادس

إعادة توجيه الصهيونيّة السّياسيّة

السياسة

لقد طوى اصدار كتاب مكدونالد الأبيض سنة ١٩٣٩ فصلاً آخر في تاريخ الصهيونية السياسية . وكان ذلك الفصل قد ابتدأ إثر الانتصار الصهيوني في الصراع على الانتداب ، وجرى في مجراه طوال بقية الفترة ما بين الحربين . وكانت مرحلة اتصفت بتقدم تدريجي نحو أهداف الصهيونية ، كنتيجة لنجاحات الدبلوماسية الصهيونية المستمرة مع البريطانيين ، ولتطور جهاز تنظيمي صهيوني قادر على تحقيق متطلبات مخطط هرتسل . بيد أن كتاب ١٩٣٩ الأبيض جاء نكسة كبيرة للدبلوماسية الصهيونية ، فتوخى زعماء الحركة إعادة توجيه الصهيونية أمام انعطاف الاحداث الطارىء . وفي اثناء سني

الحرب كان اعادة التوجيه هذا في السياسة والتنظيم وفي الانتقال بالتركيز السياسي من بريطانيا العظمى إلى الولايات المتحدة .

كان الانتداب على فلسطين قـــد خدم مصالح الصهـاينة بسماحه بتوسيع الطائفة اليهودية في فلسطين ، وذلك في الفترة ما بين الحربين ، وهو أمر كان يمكن بالنتيجة أن يفضى إلى إيجاد أغلبية يهودية في البلاد ، لولا كتاب مكدونالد الأبيض ، الذي أثار بالتـــالي تساؤلاً حول السياسة المرحليـــة التي تزعمها وايزمن . ولم يتوقف الانتداب الآن عن خدمة الصهيونية وحسب ، ولكن هدد أيضاً حتى بإحبـــاط تحقيق واحد من أهداف الصهيونية الرئيسية ، ألا وهو إيجـــاد أغلبية يهودية في فلسطين بوساطة الهجرة . فدعا ذلك إلى تغيـير في السياسة — لا تحويراً في تلك الاهداف والسياسات الأساسيـة التي بقيت منسجمة منذ يوم هرتسل ولكن تبنياً لموقف جديد من الانتداب . وقد أُيّد الانتداب في السابق لان وجوده كان متجاوباً مـع رغبات الصهيونيـة . ولكن حين أبدى البريطانيون عدم رغبة في الاستمرار بموقفهم الرؤوف من الصهاينـــة انقلب هؤلاء على المحسنين السابقين وقرروا أن يعملوا بجد لإنهـاء الانتداب على فلسطين [١] .

عمل الزعماء الصهـــاينة ، طوال سني الحرب ، على تطوير برنامج منسق لمناوئة استمرار الانتداب . ويبدو ان تهيج الصهاينة الواسع النطاق في أرجاء العـــالم والطائفة اليهوديـة في فلسطين يعكس حملة القيـــادة المخطط لهـا هذه [٢] . ففي تشرين الأول ١٩٣٩ أعلن دافيد بن غوريون ، وهـــو صهيوني

فلسطيني قيادي ، أن على السياسة الصهيونية الجديدة أن تعتمد على الاصرار على أن تتزايد الهجرة اليهودية وتتسع السيطرة اليهودية على الأراضي[٣]. وقد ردد وايزمن العاطفة عينها في كانون الثاني التالي في نيويورك حين أجمل مهمة الصهيونية الفورية في استغلال كل فرصة لنقض كتاب ماكدونالد الأبيض[٤] .

وسريعاً ما اتسعت هذه الهجومات الأولية على الكتاب الأبيض لتتخذ شكل اكتساح للانتداب نفسه . وقد ظهرت أولى علائم هذا التحول التام في السياسة عند الدكتور وايزمن الذي كان في الماضي ، ولسخرية القدر ، أقوى من ظاهر فكرة التعاون مع الانتداب . وقد زار وايزمن في منتصف كانون الأول ١٩٣٩ ونستون تشرشل في الأميرالية وأعلن أن الصهاينة بعد الحرب يريدون بناء دولة من ثلاثة ملايين يهودي إلى أربعة في فلسطين[٥] . فرد تشرشل ، الذي يذكر عطفه المكين على الصهيونية بعطف اللورد بلفور ولويد جورج ، ان مثل هذه الخطة تلقى منه قبولاً كلياً . وبدأت الصهيونية ، بهذا الاتفاق التمهيدي ، تفارق مرحلة من انتظار الفرص وتدخل أخرى تتصف باعداد ناشط لتحقيق هدف الصهيونية الأساسي — وهو خلق دولة يهودية .

يفترض دائماً أن هذا التغير في السياسة الصهيونية يمثل موقفاً وسطاً بين سياسة وايزمن التقليدية ونظرة التصحيحيين* .

* أتباع جابوتنسكي (المترجم)

وهو تطور نتـــج عفويـاً عن خيبة امل الصهـــاينة في «... سياسة التوفيق التي كانت رائدة القيادة الصهيونية في تعاملها مع بريطانيا العظمى »[٦] . على أن من الصعب أن نؤيد هـذا الرأي في ضوء الحقيقة القائلة بأن الانتداب خدم مصالح الصهيونية أكثر بكثير ممـــا فعله لاعاقة تلك المصالح . وأكثر من ذلك فان وايزمن نفسه كان واحـداً من أول الذين اقترحوا هـــذه السياسة الجديدة ، وهـو موقف أعاد تأكيده بشكل اوضح في وقت مبكر من سنة ١٩٤٢[٧] . لذلك يبدو أكثر واقعية أن نفترض ان التحول في السياسة الصهيونية من التعاون مع البريطانيين إلى العداء لهم أملاه بشكل رئيسي تغير في الظروف جعل من سياسة الإرهاب أكثر فائدة من أي شيء آخر لتحقيق أهداف الصهيونية . ولقد أشير من قبل إلى ان هذه الاهـداف والسياسات الأساسية قد بقيت مترابطة ومتحدة في غرضها منذ أيام الحركة الأولى ، ولكن الزعماء الصهيونيين قد أبدو دائمـــاً مرونة عظمى في رسمهم للسياسة العملية . وكان اعتبارهم الأول في هذه المسائل لما هو عملي ، لأن كل ما يخدم الهدف النهـائي كان مقبولاً لدى الحركة .

نضجت سياسة الصهيونية الجديدة في الإرهـاب في أوائل عام ١٩٤٠ . فعند ابتداء عام ١٩٤٠ أعلم بن غوريون الضـابط العام صاحب الأمر في فلسطين ان ليست لديه نية في اتخـاذ أية خطوات فعالة ليساعد على انهاء القلائل التي كانت تحدث بـين الطائفة اليهودية[٨] . وقد جاء بن غوريون بهذا الموقف عينـه

في آذار ١٩٤٣ ، حين أكد أمام الزعماء اليهود في فلسطين أن « ... لن يكون هناك تعاون بيننا وبين سلطات الكتاب الأبيض ... إننا نعد خططنا الخاصة ... »[٩]

سار إلى جانب هذا الاستعداد لمعارضة إرهابية للانتداب في فلسطين حملة في الغرب – وخاصة في أميركا – رسمت بحيث تعيد تنظيم الأعضاء الصهيونيين في « الشتات » بما يلائم السياسة الجديدة . وفي أوائل ١٩٤٠ أعلم رئيس الصندوق القومي اليهودي اجتماعاً في واشنطن أن سياسة الصندوق أن يعيق أي تقسيم لفلسطين وذلك بابتياع مناطق الحدود ،[١٠] ملمحاً بذلك إلى ان الوقت قد حان لتمهيد السبيل لإقامة دولة يهودية في فلسطين كلها . وبعد ذلك بسنة صرح الدكتور برنارد جوزف، المستشار القانوني للوكالة اليهودية ، تصريحاً مشابهاً أمام حفل للصهيونيين الكنديين .[١١] وفي الوقت نفسه أيضاً ، قرر اجتماع لجمعية « الاستغاثة الفلسطينية المتحدة » في واشنطن أنه بانتهاء الحرب يجب أن تقام دولة يهودية في فلسطين [١٢]. وبعيد ذلك – في ٢٩ آذار ١٩٤١ – أذاع الدكتور وايزمن في شيكاغو أنه بعد الحرب يمكن أن تشكل حكومة يهودية جنباً إلى جنب مع اتحاد عربي في الشرق الأوسط [١٣] .

إن هذه التصريحات وما شابهها عملت على تعبئة اليهود الصهاينة بروح ارهابية وعلى ملء تفكيرهم بفكرة توقع إقامة اسرائيل كدولة حين تضع الحرب أوزارها . وقد كانت القيادة في هذا المسعى ناجحة ، ففي الولايات المتحدة مثلاً قررت

المنظمة الصهيونية في أميركا منذ ٧ أيلول ١٩٤١ أن تطالب بإيجاد حكومة يهودية في ضمن حدود فلسطين التاريخية .[١٤]

ولكن أكثر من ذلك كان مطلوباً . فقد كان ضرورياً لهيئة مرموقة من صهاينة « الشتات » أن تجتمع في مكان ملائم وتعلن بالاجماع قرار الصهيونية العالمية أن تعمل على إقامة إسرائيل عند تمام الحرب . وكانت لجنة الطوارىء مستعدة لرعاية الاجتماع[١٥]، لذلك دعت إلى مؤتمر استثنائي للصهاينة الأمريكيين والأوروبيين والفلسطينيين ، عقد في فندق بلتمور في مدينة نيويورك في أيار ١٩٤٢ .

وخطب في المؤتمر الصهيوني الاستثنائي ثلاثة من زعماء الصهيونية الكبار : [١٦] وهم وايزمن وبن غوريون وناحوم غولدمن ، والأخير رئيس اللجنة الإدارية للمؤتمر اليهودي العالمي . وكانت ذات اهمية خاصة تصريحات بن غويون ، الذي كان في ذلك الوقت يتبوأ منصب الزعيم السياسي لتنفيذية فلسطين في الوكالة اليهودية . [١٧] فقد كانت مطالب بن غوريون الرئيسية أن تمنح الوكالة اليهودية سيطرة كاملة على الهجرة إلى فلسطين ، وان تلقى جانباً فكرة القومية المزدوجة إذا استلزمت إعطاء عرب فلسطين تمثيلاً مساوياً لليهود في دوائر الحكومة .[١٨] ههنا ، لذلك ، كان عرض أساسي للسياسة الصهيونية الجديدة ، لأن تحقيق مثل هذا البرنامج لن يؤدي إلاّ إلى نتيجة واحدة وحسب — إقامة دولة يهودية . ولقد مضى المؤتمر إلى حيث قاده بن غوريون ، وعبر المشتركون عن رغبتهم

في الاصرار على « تطبيق كامل لبرنامج بال. »[١٩] وهكذا ظهر على السطح الآن وضوح الهدف الخفي الذي رافق الصهيونيـــة السياسة دوماً . ولم يبق سوى مهمـة صياغة سياسة الإرهاب الجديدة المخططة أصلاً وابتداء الاستعداد لتحقيق الهدف الأول في برنامج هرتسل .

في ١١ أيار أقر المؤتمر مجموعة قرارات تعرف مجتمعة ببرنامج بلتمور [٢٠] ، وتنطوي على الخطة الأساسية لسياسة الصهيونية الجديدة . وإجمالاً ، فإن الأجزاء التي تعنى بهذه السياسة تنادي بما هو آت : (١) الاعـــتراف بأن الغرض من شروط تصريح بلفور والانتداب التي تبين ارتبـــاط الشعب اليهودي التاريخي بفلسطين هو ايجاد حكومة يهودية هناك[٢١] ، (٢) الطعن في صحة كتاب ماكدونالد الأبيض ، (٣) حل قضية التشرد اليهودي كجزء من تسوية مـا بعد الحرب (هنا تلميح إلى ان الحل الصهيوني هو الحل الوحيد) ، (٤) نقـــل التحكم بالهجرة إلى أيدي الوكالة اليهودية (معطياً تلك الوكالة ، بذلك ، واحدة من القوى الأساسية لحكومة ذات سيادة) ، (٥) جعل فلسطين حكومة يهودية .

إن برنامج بلتمور لم يضف هالة من الهيبة على سياسة القيادة الصهيونيـة الجديدة وحسب ، ولكنه عمـــل على تجنيـــد السواد الأعظـــم من الصهيونية العالميـة بشكل ايجابي وراء مشروع الدولة القـــادمة . وفي تشرين الأول ١٩٤٢ تبنت المنظمة الصهيونية في اميركا وهداساً برنامج بلتمور

وكذلك فعلت جماعتا مزراحي والعمال فيما بعد . مع ان منظمة العمال لم تستبعد بشكل محدّد امكانية القومية المزدوجة .[٢٢] ثم صادق على البرنامج ، في تشرين الثاني ، المجلس العام[٢٣] للمنظمة الصهيونية العالمية [٢٤]، جاعلاً بذلك من [الخطة] الارهابية الجديدة منهجاً للصهيونية بشكلها الواسع ، بالرغم من أنه لم ينعقد أي مؤتمر لمناقشة مثل هذا القرار الخطير [٢٥]. وعندما عقد أول مؤتمر صهيوني بعد الحرب في آب ١٩٤٥ حُوّل تفكير الأكثرية الكبيرة من الصهاينة الى برنامج بلتمور حتى انه صدق عليه بقوة [٢٦] .

تركيز النشاط في اميركا

شهدت سنوات الحرب تغييراً هاماً في خطة الصهاينة الأساسية في الهجوم ، بقطع النظر عن رسم السياسة الجديدة . فمنذ ابتداء الحرب العالمية الأولى ، حققت الصهيونية السياسية تأييد الكفار [الأمم غير اليهودية] ، وهو مشروع أساسي في برنامج هرتسل ، وذلك بالحصول على مساعدة الحكومة البريطانية من خلال استقطاب الوزراء وغيرهم من الزعماء السياسيين البريطانيين . غير ان الموقف الصهيوني من بريطانيا العظمى اعتراه تغير أساسي على أثر نشر الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ورسم السياسة الصهيونية الجديدة . فاعتبرت الحكومة البريطانية الآن – وبالذات وزارة المستعمرات وسلطات

الانتداب – عدواً ومعيقاً لتحقيق غرض الصهيونية الأساسي .

كان لهذا السبب أن تحـــول الصهيونيون إلى الولايات المتحدة . وفي أول الأمر ، أرادوا أن يوقعوا ضغطاً أمريكياً على السياسة البريطانية [٢٧] في محاولة لنقض الكتاب الأبيـــض والتوصل إلى قبـــول بريطاني بمخطط لدولة يهودية تقام بعد الحرب . بيـد أن كثيراً من الصهاينة بعد ذلك ، وفي أثنـــاء الحرب ، بـــدأوا يشعرون أن بريطانيـــا أخـــذت تفقد مركزها كقوة من الدرجة الأولى ، فولوا وجههم ، لذلك ، شطر الولايات المتحدة كمصدر رئيسي لدعم « الأمم الأخرى » للصهيونية [٢٨] . وكانت أمريكا في الماضي قـــد أثبتت قيمتها كمصدر لعون الحركة ماليـــاً ، ولكنها في أثناء الحرب ظهرت كمركز جديـــد يقصد للمساعدة السياسية . فأصبحت أمريكا نتيجة لذلك بؤرة النشاط الصهيوني السياسي في أثنـــاء الحرب ، بالرغم من استمرار بريطانيا في تبوء مكان الأهمية وذلك لأن الانتداب على فلسطين كان ما يزال في يدها . وإنه لمن المثير أن نشير عند هذه النقطة إلى أن المنظمة الصهيونية عينها التي عقـد عليها كثير من الساسة البريطانيين آمـــالهم في دعم استراتيجي وسياسي للمصالح البريطانية في الشرق الأوسط تحولت الآن بقليل من التردد عن تلـــك القوة التي لولا مساعدتها لأقصيت الحركة الصهيونية منذ عهد بعيد إلى عـــالم النظرية . لقد نقلت الصهيونية مصلحتها من بريطانيا إلى أميركا بتلك المرونة الطيعة

التي اتصفت الحركة بها دائماً .

التنظيم

اقتضت سياسة ُ إعادة التوجيه والتركيز السياسي في أميركا بالنسبة للصهيونية تنظيم النفير للحركة . فكما ذكر من قبـــل ، حولت الوكالة اليهودية إلى هيئة صهيونية بسبب انهيار جهازها الإداري عام ١٩٣٩ . على أن هذا التطور لم يكن ذا معنى إلاّ في أنه عمـــل على إعطاء الصهيونية ترابطاً وتكاملاً إضافيين في وقت دعا فيه التشكك الدولى السائد إلى تنظيم مغلق وحريـة كاملة في العمل . زد على ذلك أن تغـــيير السياسة الذي وصف سابقاً كان قد رسمته القيادة أصلاً في خريف ١٩٣٩ ، ولما كانت السياسة الجديدة أكثر تطرفاً من القديمة ، فإنه لم يكن ممكناً أن تجرب أية فرص مع الجماعات غـــير الصهيونية الأكثر اعتدالاً والتي اشتركت في الوكالة اليهودية . والحقيقة أن هذا الحذر قد ثبت الأخذ به من وجهة النظر الصهيونية ، لأنه حين نودى بالسياسة الجديـــدة في برنامج بلتمور علت بالاحتجاج أصوات كثيرة من من الفرق اليهودية المعتدلة في الغرب[٢٩] . وبالرغم من أن تحويل الوكالة اليهودية لم يكن له معنى لأن المنظمة الصهيونية حافظت على تحكمها الفعال بالوكالة ، فإنه يبقى محرجاً أن يكون شقاق في هيئة يستعملها الصهيونيون لتظهر الصهيونية مجتذبة لدعم يهود العالم.

وفي نفس الوقت الذي دمجت فيه الوكالة اليهودية بالمنظمه

الصهيونية ، كانت عملية أخرى تجري لحفظ الحركة وثيقة الترابط في أثناء سنوات الحرب . ففي اجتماع للهيئة التنفيذية في جنيف في آب ١٩٣٩ انضم أعضاء الوفد الأمريكي إلى قيادة المنظمة الصهيونية العالمية لإيجاد تنظيم يمكنه أن يكون بمثابة مركز إدارة متغير للحركة وأن يبقى على اتصال بالفرق التي قد تجد نفسها مقطوعة عن تنفيذيتي لندن وفلسطين [٣٠] . وسمي هذا التنظيم « لجنة الطوارىء » ، وأعيد تنظيمه فيما بعد وسمي « المجلس الأمريكي الصهيوني للطوارىء » .

وقد قام مجلس الطوارىء بعملين هامين ، أولهما أنه أتى بمركز إدارة جيد في فترة الحرب يمكن للقيادة أن تعرض سياستها الجديدة من خلاله . وقد تألف المجلس من أهم الفرق الأمريكية الصهيونية العامة (المنظمة الصهيونية لأمريكا وهداسا) ومن جناحي العمال الصهيونيين ومزراحي [٣١] . فكان لذلك ممثلاً للأحزاب الصهيونية الرئيسية . وفي الوقت نفسه استطاعت القيادة الصهيونية العالمية أن تحافظ على عنصر هام لضبط مجلس الطوارىء بوساطة تعيين الدكتور وايزمن لعدد من الزعماء الصهاينة في المجلس بالنيابة عن « تنفيذية الوكالة اليهودية [٣٢] » . فقام مجلس الطوارىء بمهمة مركز إدارة صهيوني في غضون الحرب وكان له دور هام جداً في بلورة السياسة الجديدة ، فقد كان المجلس هو الذي دعا إلى الاجتماع الاستثنائي في فندق بلتمور في ربيع ١٩٤٢ [٣٣] .

وكان العمل الهام الثاني الذي أخذه مجلس الطوارىء على

عاتقه أن يسهّل تركيز القيادة الصهيونية على الولايات المتحـدة وأن يمهد الطريق لنقل مركز الصهونية في عالم «الأمم الأخرى» من بريطانيا إلى أميركا . فنسق الأعمـال الصهيونية في الولايات المتحدة[٣٤] وأعد الجهاز التنظيمي الذي كان عليه أن يضطلع بمثل هذه المهمة الخطيرة في تاريخ الصهيونية في أثنـاء الحرب وبعدها . وكانت أميركا قـد برزت في ثياب الدولة القائدة في الغرب . فإن كان بالإمكان الفوز بأميركا إلى جانب القضية الصهيونية ، كما كانت إنجلترا في الماضي ، فإن الصهيونية سيكون في مقدورها أن تصل قريباً إلى هدفها النهائي في إقامة الدولة .

وحين أنشىء مجلس الطوارىء لم تبقَ سوى مهمة صغرى وهي نقل مسؤولية التغيير المزمع في السياسة من الوكالة اليهودية إلى المجلس ، لـكي يبدو الصهاينة الأمريكيون مركز الحركة ورعاة السياسة الجديدة . وقد توصل إلى ذلك في عناية بتعيين لجنة عند نهاية ١٩٤١ لرسم أهـداف الوكاله اليهودية [٣٥] . وقررت هذه اللجنة ، من ثم ، أن تحصل على موافقة أمريكية لآرائها قبل تقديمها إلى « المجلس الداخلي العام » في القدس ، وهو الهيئة العليا لرسم السياسة الصهيونية في أثناء الحرب[٣٦] . وبعد هذه الخطوة دعا « المجلس الأمريكي الصهيوني للطوارىء » إلى الاجـتماع الاستثنائي ، الذي أفضى بدوره إلى برنامج بلتمور والتصديق على السياسة الجديدة في الإعداد العملي للدولة .

إن إعـادة التوجيه التنظيمي والسياسي للصهيونية الذي حدث في أوائل الحرب جـاء بالهيكل الذي بنت عليه القيادة

الصهيونية عهـــداً جديداً في تاريخ الحركة . ولكن العمليات الصهيونية السياسية في هذه الفترة أيضاً استمرت كما كان شأنها في الماضي . وإلى هذه العمليات ومـــا حققته للصهيونية من نجاح سوف نتوجه الآن .

الفصل السابع

السياسة الصهيونية في فلسطين وبريطانيا وقت الحرب

العمليات في بريطانيا العظمى

بالرغم من أن الصهاينة تحولوا بشكل متزايد إلى أمريكا في سعيهم وراء دعم « الأمم الأخرى » في سنوات الحرب ، فقد بقيت بريطانيا العظمى مركزاً هاماً للعمليات الصهيونية ، لأن الانتداب لم يزل ضمن مسؤولية بريطانيا . وقد عمل الدكتور وايزمن وزعماء الحركة الآخرون طوال الحرب من غير تعب للمضيّ في سياسات الصهيونية الأساسية . وفي خسرانهم عطف الحكومة مؤقتاً على أثر صدور الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ توخوا مرة ثانية أن يطوروا ويحفظوا توجهاً مؤيداً للصهيونية

في نقاط تركز القوة السياسية . وفي الوقت نفسه ابتكروا طرقاً لتحريك الرأي العام في دعم الصهيونية وليسهلوا بذلك العمليات الأكثر حساسية في الجهات العليا . واستمروا أيضاً في المحاولة الصهيونية الدؤوب لكسب مساندة اليهـــود الذين كانوا خارج الحركة ، وجردوا حمـلة ناجحة ضد قوى اليـــهود البريطانيين المناوئين للصهيونية . وأخيراً ، فإنهم استمروا في البحث عن وسائل توفير هجرة يهودية ذات حجم إلى فلسطين رغم أنف قيود الكتاب الأبيض .

صدر الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩عن حكومة تشامبرلين . وطوال تولى تلك الحكومة زمام السلطة تعرضت لنقد صهيوني قاس[١]، بالرغم من أن وايزمن بقي على اتصال بالمسؤولين الإداريين الأعلين بما في ذلك وزير الخارجية اللورد هاليفاكس[٢]. غير أن الصهاينة لم يحصلوا من هذه الوزارة أكثر مما حصلوا من وزارة هربرت أسكويث خلال الحرب العالمية الأولى . فعمدوا لذلك إلى خطة الانتظار ، كما كانوا فعلوا عام ١٩١٥[٣] ، وحـــاولوا ترويض من يتوقع استيزاره في المستقبل . فقد كان في تلك الفترة مثـــلاً أن زار وايزمن ونستون تشرشل في الأميرالية ونجح في الحصول على موافقة رئيس الوزراء القـادم على دولة يهودية تقام بعد الحرب[٤] .

وبتشكيل الحكومة الائتلافية برئاسة تشرتشل في أيار ١٩٤٠ أعطي الصهاينة الفرصة التي كانوا ينتظرون لنقد سياسة الكتاب الأبيض والعمل بالتدريـج لقبول الاقتراح في دولة يهودية بعـد

الحرب . ولم يكن تشرشل نفسه المؤيد الوحيد للصهيونية ، ولكن كان أيضاً عدد من الوزراء الآخرين أصدقاء قدامى للقضية الصهيونية [٥] . فاستعمل الصهاينة ، فيما بقي من الحرب ، هذه الحظوة عند الحكومة لأكثر من الاقتصاص مما وجدوه من معارضة وزارة المستعمرات وإدارة الانتداب . ففي أثناء الاحتدام على الهجرة غير الشرعية في خريف ١٩٤٠ [٦] ، مثلاً ، لم ينجح الصهاينة فقط في تجاوز معارضة سلطات الانتداب البريطاني ووزارة المستعمرات ، اللتين كانتا ، ببساطة ، تقومان بواجبهما في حدود القانون ، ولكنهم أيضاً حطّوا من شأن تلك السلطات باتهامها بإحراج حكومة تشرتشل وذلك بالعمل ضد رغبات الشعب البريطاني الحقيقية وزعمائه المنتخبين الذين كانوا مشغولين بمعاركة الحرب [٧] .

وكمثال لحالة حقق فيها الصهاينة مآربهم بالرغم من النظم المرعية ومن الموقف غير المنحاز لأولئك المسؤولين عن تطبيق تلك النظم ، نورد حادثة السفينة باتريا [٨] . ففي تشرين الثاني ١٩٤٠ ، جيء بحوالي ٢٠٠٠ مهاجر يهودي غير شرعي إلى سفينة تسمى س . س . باتريا في حيفا وذلك لتسفيرهم إلى مستعمرة بريطانية في المحيط الهندي . فانفجرت الباتريا بعد ذلك وقُتل حوالي ٢٥٠ مهاجراً . ولكن الهامّ في هذه الحادثة من وجهة نظر هذه الدراسة هي حقيقة أن الذين نجوا قد أذن لهم بدخول البلاد ، مخالفين بذلك النظم المرعية آنذاك ، تلك التي ربما لم تكن لاإنسانية إلى هذه الدرجة حين يفهم أنها

'سنّت' لتحمي الطائفة غير اليهودية لا لتضطهد اليهود . وقصة الطريقة التي دار بها الصهاينة حول القانون في هذه الحالة قد رواها وايزمن بعناية في تأريخه لحياته [٩] :

« إن واحدة من أسوأ الحالات – حالة الباتريا – حدثت في أثناء الحرب حين كان اللورد لويد وزيراً للمستعمرات . وحين سمعت بها ذهبت إليه . . . لأحاول إقناعه في أن يسمح للركاب أن ينزلوا إلى اليابسة . . .

وذهب نقاشي أدراج الرياح فلم يستطع اللورد لويد أن يتفق معي . فقد قال ذلك ، وأضاف :

« يجب علي أن أخبرك أنني سددت في وجهك كل المنافذ . وأنا أعلم أنك ستذهب إلى تشرشل وتحاول معه أن ينقض قراري . فحذرت لذلك رئيس الوزراء من أنني لن أوافق . لذلك أرجوك ألا تحاول أن تأتيه » .

ولكن يبدو أن اللورد لويد لم يسد الطريق إلى وزارة المستعمرات . فذهبت لذلك كي أرى اللورد هاليفاكس . . . وكان ارتياحاً بالغاً وسروراً لي أن سمعت في اليوم التالي أنه بعث ببرقية إلى فلسطين للسماح للركاب أن ينزلوا » .

ومع أن هذه الحالة تعتبر صغرى من حيث الكم ، فقد كانت هامة في الغض من مستوى ترابط الأنظمة البريطانية وفي

المساعدة على سقوط الكتاب الأبيض .

وقد صوحب هذا النوع من العمل الصهيوني على أعلى مستويات الحكومة بمحاولات للاستفادة كأحسن ما يكون من أعضاء البرلمـــان المؤيدين للصهيونية ولتشجيع إعلان برامج الأحزاب المؤيدة للسياسة الصهيونية الجديدة في دولة وشيكة القيـــام . فبقي مكتب لنـــدن في الوكالة اليهودية على اتصال بمؤيدي الصهيونية في البرلمان بوساطة منظمة تعرف بلجنـــة فلسطين البرلمانية وكانت قد أنشئت قبل الحرب[١٠]. وفي الوقت نفسه كان وايزمن وزعماء صهاينة آخرون يلحون في قضيتهم على زعماء حزب العمال بشكل ثابت[١١] ، وفي مناسبات عدة في أثنـــاء الحرب أصدر حزب العـــمال قرارات تعـبر عن عطفه على الصهيونية [١٢] .

رُفدت العمليات السياسية الصهيونية بحمـــلة دعاية واسعة كانت الغاية من ورائهـــا تحريك مطالبة عامة بنسخ كتاب مكدونالد الأبيض [١٣] . وقد استغل الصهاينة الجهل العام لدى « الأمم الأخرى » بالمسألة الفلسطينية ، فاقترحوا تبني برنامج بلتمور كوسيلة منطقية لنسخ الكتاب الأبيض ، ملزمـــين ، بذلك ، من يستمع إليهم بدعم إقـــامة دولة يهودية كنتيجة لقرارهم في معارضة الكتاب الأبيض . وحقيقة الأمر ، بالطبع ، أن برنامج بلتمور والكتاب الأبيض بقيـــا نشرتين منفصلتين ولكن أكثر الناس من غير اليهـود لم يعرفوا من الموقف إلا القليل حتى يميزوا بينهما . ولقد توسع قسم الإعـــلام في مكتب

لندن في الوكالة اليهودية في وقت متأخر من سنة ١٩٤١ وذلك ليوجه هذه الحملة ، وشكلت لجان في جميع أرجاء البلاد لتكون مصادر دعاوية (١٤) .

وبقيت معارضة اليهود غير الصهاينة – وفي بريطانيا العظمى بالذات – شوكة دائمة في جنب الصهيونيـــة السياسية . وسوف يتذكر ، مثلاً ، أن اليهود البريطانيين غير الصهـــاينة هم الذين أصروا على أن يتضمن تصريح بلفور شروطـاً تحمـي حقوق الطائفة غير اليهودية في فلسطين واليهود خارج فلسطين . بيـد أن الصهاينة ، بعد خمس وعشرين سنـة كانوا أقوى ، وشعروا أن معارضة يهودية في وقت راجت فيه فكرة دولة يهوديـــة لا يمكن تحملها . فاختطوا لذلك خطتين للعمل ، واحدة لتوسيع مراتب الصهيونية ، والأخرى لملاشاة تأثـــير معارضة اليهود البريطانيين غير الصهيونيين . فجرد «الاتحاد البريطاني الصهيوني» حملة لعضويته ضاعفت أعداده خمس مرات(١٥) . وعومل اليهود غير الصهيونيين بالنشاط عينـه . ولحسن حظ الصهاينة فإن « مجلس نواب اليهود البريطانيين » ، وهي أقدم مجموعة من نوعها في البلاد ، أصبحت فيه أغلبية صهيونية عـام ١٩٤٣ . فأصبح في الحال أداة صهيونيـة ، ولم تول عناية كبيرة لأولئك الذين اختاروا أن يحتفظوا بموقفهم غير الصهيوني . وقد حل ارتباط المجلس بـ «الرابطة الانجليزية اليهودية» ، وفي خريف ١٩٤٤ صادق المجلس على برنامج بلتمور (١٦) . ومع ان غير الصهاينة انسحبوا وشكلوا منظمة لأنفسهم ، فإن ظهر المعارضة اليهودية للصهيونية

في بريطانيا قد تحطم ، وخطيت خطوة هامة في سبيل تحقيق المرحلة الثالثة من برنامج هرتسل .

استعمل الصهاينة في إنجلترا في بحثهم عن الموافقة على برنامج بلتمور خطة مجازفة خدمت قضية القومية اليهودية كثيراً . ففي الأيام البـــاكرة من الحرب ذيّل وايزمن تعهداتـه بدعم صهيوني للحلفاء ، وهي مسألة لم يكن في الواقع لأي يهودي فيها خيار ، [ذيلها] بالمطالبة بأن تشكل وحدات يهوديـة مستقلة لتخدم في جيوش الحلفاء (١٧). ويبدو مثل هذا الطلب سليماً جداً في ظاهره ، ولكن النيات المستترة وراءه كانت في أن تخدم القوة المحاربة المقترحة الصهيونية في سبيلين بينين أولهما أن تجنيد اليهود الفلسطينيين في وحدات عسكرية سيساعد على تكوين نواة جيش يهودي يمكن أن يقارع المعـــارضة العربية عندما ينادى بالدولة اليهودية . والهدف الثاني ، الذي كان أكثر أهمية من الوجهـة السياسية ، كان المقصـــود منه أن تمثل الوحدات اليهودية الشعب اليهودي رسمياً وأن تحارب في ظـل راية يهودية (١٨) . إن هذا من شأنه أن يضمن اعترافاً هاماً بمبدأ الدولة اليهودية ويكون خطوة في سبيل اعتراف بإسرائيل مبني على مبدأ الأمر الواقـع . وإنه إلى ذلك سيكون ضربة مؤثرة إلى اليهود غير الصهيونيين بخلقه وهم مشاركة اليهود في الحرب كأبناء أمة يهودية ، لا كمواطنين في الأمم « الكافرة » ، وهو حالهم في الواقع .

وبسبب ما يناط بالصهيونية من قيمة كامنة في إيجـاد قوة

محاربة يهودية ، عمل وايزمن بدأب طوال سني الحرب للحصول على الموافقة على هذا المشروع . وقد اقترح وايزمن في ١ كانون الأول ١٩٣٩ أن تجنـــد الوكالة اليهودية فرقة يهودية[١٩] . ولكن الحكومة البريطانية كانت حذرة مـــا ينطوي عليـه إيجاد مثل هذه الفرقة ، فأصرت على أن تؤلف جميع الوحدات الفلسطينية من العرب واليهـــود على السواء . فكتب وايزمن في الصيف التالي إلى تشرشل يحثه على إعادة النظر في إيجـــاد الوحدات اليهوديـة ، خصوصاً أن احتلال الألمان لفلسطين سيجعل اليهود في البلاد تحت رحمة العداء العربي والنازي[٢٠] . فاستجاب تشرشل بعطف . وفي أيلول ١٩٤٠ حضر وايزمن ، وفي يده مخطط لبرنامج مقترح لتسليح اليهود الفلسطينيين ، إلى حفلة غداء أقامها رئيس الوزراء[٢١] .

وقد عمل في إعداد المخطط أولئك الذين حضروا المأدبة . فاحتوت الصيغة النهائية ، مع أنهـا لم تكن ما أراده وايزمن بالضبط ، على بعض تنازلات معينة للصهيونية . ومع أن البرنامج اعتمد مبدأ المساواة فيما يتعلـــق بعدد اليهود والعرب الذين سيجندون ، وهو شرط أضيف نزولاً عنـد إصرار وزارة المستعمرات ، فإنه دعا أيضاً إلى « تجنيد أعظم عدد ممكن من اليهود في فلسطين للخدمات الحربية لينتظموا في كتيبة يهودية أو تشكيلات أكبر[٢٢] » . وبالرغم من أنه لم يجند من اليهود لتشكيل وحدات يهودية سوى أعداد صغيرة ، وذلك من جراء تباطؤ العرب في التسجيل ، فإن إيجـــاد وحدات يهودية تماماً

اعتبره الصهاينة « ... انتصاراً لمبدأ ... وحدات محـــاربة يهودية صميمة ستأخذ مكانها إلى جانب البريطانيين وحلفائهم ... سيحاربون كيهود وسيمثلون الشعب اليهودي — نواته السياسية الحية في فلسطين ، وجماهير اليهود الغفيرة في أنحاء العـــالم ، كذلك [٢٣] » .

وأتبعت هذه البداية الهامة في الكفاح الصهيوني لتكوين قوة يهودية محاربة بحملة سنة ١٩٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، رسمت بحيث تتجاوز الحدود التي فرضهـــا بند المساواة على تجنيـد اليهود وتوسع الوحدات الحالية من اليهود الفلسطينيين إلى قوة ذات حجم مؤلفة دون استثنـــاء من اليهود الذين يمكن أن ينضموا إلى كفاح الحلفاء ضد ألمانيا وأن يمثلوا القومية اليهودية . وفي صيف عام ١٩٤٢ اقترح الأعضاء المؤيدون للصهيونية في مجلسي البرلمان كليهما إيجاد جيش يهودي ، يكون من الفلسطينيين ومن اللاجئين اليهود في أوروبا [٢٤] . ومع أن هذه المقترحات لم تتحقـق ، فإن من الممكن أن تكون ساعدت فيما بعـــد على تخفيف حدة قوانين المساواة [٢٥] .

وفي ايلول ١٩٤٤ نجح نهائياً الإلحاح الصهيوني المتواصـــل لتكوين جيش يهودي — سواء في الولايات المتحدة أو في بريطانيا ففي العشرين من ذلك الشهر أذاعت وزارة الحربية البريطانيـة أنها قررت أن تساعد في تشكيل لواء يهودي. [٢٦] وقد منح هذا اللواء ، الذي عمل في ايطاليا ، علمه الخاص، [٢٧] معطى بذلك المجال ليستعرض الجنسية اليهودية وليربط بها حقيقة كونه

يهودياً بتلك الجنسية . ومن خطير الأمر ، أن علم هـذا اللواء هو علم اسرائيل اليوم .

وقد أتم هذا اللواء أيضاً المهمة الأخرى التي اختطهـــا له الصهاينة . ففي كلمات مناصر للصهيونيـــة ، « أصبح محاربو الألوية اليهودية مـا تكهنت به إدارة [الانتداب] بالضبط ، نواة الجيش الإسرائيلي المستقبل والعـــامل الحاسم في انهزام العرب ، الذي أفضى ، كما جرت الأمور ، إلى انهزام للسياسة البريطـانية . » ويندر أن يكون أولئـــك الذين تصوروا الصهيونية في أثناء الحرب العالمية الأولى كحليف منتظر للمصالح البريطانية في الشرق الأوسط قد توقعوا هذا الأمر . ويضطر المرء أن يتساءل عن مدى صحة النقـــد الصهيوني لوزارة المستعمرات وإدارة الانتداب حين يسمع صهيونياً يقر بصراحة أن ايجاد لواء يهودي ، وهو الذي توسل إليه بادعاءات ما يمكن ان يقدمه من خدمة لبريطانيا والحلفاء ، لم يعمل في النهاية إلا على خذلان السياسة البريطانية .

وحين كان الصهاينة ماضين وراء أهدافهم بنجـاح كهذا في بريطانيا العظمى ، نجحوا أيضاً في اجتذاب رئيس الوزراء تشرشل لدعم برنامج بلتمور بشكل أقوى . ولكن هذا كان أقل اهمية في المدى البعيد لأن حزب العمال استولى على السلطة سنة ١٩٤٥ ، وكان وزير الخارجية أقل تعاوناً مع الصهاينة . غير أنها على كل حال تستحق التنويه .

في تشرين الأول عام ١٩٤٤ ، وهو الشهر الذي تلا الإعلان

عن اللواء اليهودي ، طلب مكتب الوكالة اليهودية في لندن من الحكومة البريطانية أن تعين في فلسطين حكومة يهودية ، وأن تأذن بدخول البلاد لمليون ونصف المليون من اليهود ، وذلك لتوفير أغلبية كافية للمناداة بالدولة [٢٩] وكان وايزمن قد تسلم، قبل سنة ، ضمانات من تشرشل حول موقف الأخير من الصهيونية .[٣٠] وبعيد مذكرة ١٩٤٤ إلى الحكومة البريطانية ، ناقش وايزمن الخطة المقترحة بعناية أكثر مع رئيس الوزراء .[٣١] وقد نجح وايزمن في هذا الاجتماع في الحصول على موافقة تشرشل العامة على فكرة الدولة اليهودية ، وإن لم تكن في فلسطين كلها . على انه لو بقي المحافظون في الحكم فان من المحتمل أن تعترف الحكومة البريطانية بالادعاءات الصهيونية بإقامة دولة ، في جزء محدد على الأقل من فلسطين . وكما كان الأمر ، فإن كفاح الصهيونية الكبير بعد الحرب وقع في أميركا . وقد كانت العمليات الصهيونية في تلك البلاد في غضون الحرب هي التي مهدت السبيل لهذه المعركة الأخيرة قبل ميلاد إسرائيل .

الارهاب في فلسطين

لا تدخل قصة الإرهاب اليهودي في فلسطين بشكل صحيح ضمن نطاق هذه الدراسة . غير أن هناك بعض جوانب من الارهاب – وبالتعيين ، القيام بهجرة غير شرعية ، والحصول المحرم على الأسلحة – تتعلق بالاستراتيجية الصهيونية ككل

لهذه الحقبة من الزمن . ولا يمكن أن يناط نشاط الإرهابيين بالقيادة الصهيونية . بل إن وايزمن وغيره قد نددوا في مناسبات عديدة بعمليات الإرغون وأتباع شتيرن . على أنه من الضروري أن نشير الى أن بن غوريون قد رفض ان يقوم بأي عمل معادٍ لحركي الفتن اليهود في الفترة الأولى من الحرب ، وأن الوكالة اليهودية بعد انتهاء العداوات قد تواطأت مع الإرهابيين . (٣٢)

وبقدر ما شاء الصهاينة أن يعتبروا الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ غير شرعي ، فانهم لم يجدوا حرجاً أخلاقياً في رعاية هجرة اليهود غير المرخصة إلى فلسطين . ففي أثناء الحرب عزت الدعاية الصهيونية كثيراً من محنة اليهود الأوروبيين إلى غياب دولة يهودية .(٣٣) وقد انجذب الى الصهيونية كثير من اللاجئين من جراء حالتهم اليائسة وفعالية الدعاية الصهيونية ، وقد لاذ عدد منهم بفلسطين ، فكان الصهاينة على أتم استعداد لمساعدتهم . ورسم « الفعاد لئومي » خططاً لمقاومة يهودية منسقة للكتاب الأبيض ،(٣٤) وهو برنامج يبدو أن يكون مكرساً بشكل كبير لرعاية الهجرة غير الشرعية . بالاضافة الى ذلك فان الوكالة اليهودية أنشأت لجنة انقاذ متحدة ، نجحت في اسكان ١٠,٠٠٠ يهودي في فلسطين بالتعاون مع العصابات الباطنية اليهودية في أوروبا . (٣٥) وقد عرفت هذه الأخيرة بـ « موسادلي أليه بت » (لجنة الهجرة غير الشرعية) ، ونظمت عام ١٩٣٧ . (٣٦)

وقد نتج عن هذه الحملة الإرهابية ، المخطط لها بحيث تحافظ

على تدفق لليهود ذي وزن إلى فلسطين برغم قيود الكتاب الأبيض ، عدد من الحوادث المؤسفة التي ردت فيها سلطات الانتداب شحنات المهاجرين غير الشرعيين أو طردتها من البلاد .[٣٧] وفي مناسبتين انفجرت وغرقت بواخر تحمل اللاجئين ونتج عن ذلك خسائر مفجعة في الأرواح . وبشكل عام ، فان حظ اللاجئين الذين اختاروا محاولة دخول فلسطين بشكل غير شرعي كان بعيداً عن كونه ساراً . وقد علق احد الرسميين الانتدابيين على ذلك ان الحكومة البريطانية لم تكن ليعوزها العطف على اولئك الذين فروا من الطغيان النازي ، ولكنها أكدت في الوقت نفسه أن المهاجرين قد حاولوا أن يدخلوا فلسطين « ... ضد ما هو معروف جيداً بكونه قانون البلاد . »[٣٨]

ولكن الصهاينة هم الذين جاؤوا بالهجرة غير المشروعة ، وهم الذين كانوا يعرفون حقيقة الموقف فكان عليهم هم أن يتحملوا المسؤولية الأولى في مصير اللاجئين . وانه لصعب أن نفهم في الظاهر لماذا يعرّض الصهاينة أبناء جلدتهم ، الذين كانت محنتهم مفجعة أصلاً ، لخيبة محاولة دخول فلسطين غير الشرعي . ولكن الأمر يصبح قابلاً للفهم حين نتبين من أن تحقيق برنامج هرتسل بالنسبة للصهيوني المتحمس هو همه المتجاوز كل اعتبار . ويقول وايزمن في تأريخه لحياته ، معلقاً على المروءة اليهودية الأمريكية تجاه اليهود الأوروبيين في أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها : « ... إن إيمانهم [أي الخيرين من

اليهود الأمريكيين] باستقرار نهائي ليهود أوربا ، بالنسبة لمن يؤمن بأن الوطن اليهودي يوفر الحل المادي الثابت الوحيد للمعضلة اليهودية ، كان مأساة . وإنه لمما يكسر القلب أن نراهم يصبون الملايين في غور لا قرار له ، في الوقت الذي يمكن فيه لهذا المال أن يوجه صوب الوطن اليهودي . . . » [٣٩] هذا هو تفسير السبب الذي من أجله لم يهتم الصهاينة دائماً ، في الحرب العالمية الثانية ، براحة يهود اوروبا التعسين الذين أخذوا بنصيحة الصهاينة وذهبوا إلى فلسطين بإيمان حسن ولكن بشكل غير شرعي .

كان العمل الإرهابي الصهيوني واضحاً أيضاً في فلسطين في أثناء الحرب وذلك فيما يتعلق بالحصول غير المشروع على الأسلحة . فمع أن الوكالة اليهودية كانت في الظاهر تتعاون مع سلطات الانتداب ، غير أنها في الوقت نفسه كانت تسوي برنامجاً للحصول المحرم على الأسلحة بالسرقة من الإمدادات البريطانية [٤٠] . وقد أثار القمع البريطاني لهذا النشاط فيما بعد اتهامات باللاسامية ، وهو انفعال صهيوني متميز تجاه أي شيء مناوىء لمصالح الحركة . وفي وقت مبكر من ربيع عام ١٩٤٣ اكتشفت سلطات الانتداب جزءاً هاماً من شبكة التهريب الصهيونية التآمرية [٤١] . وقد اشتملت الحادثة على جنديين بريطانيين ، كشفت محاكمتهما فيما بعد عن إمكانية اشتراك بن غوريون والهستدروت والهابوعيل (منظمة العمال الرياضية) . كل هذا جعل محامي الدفاع يشير إلى أن الجنديين كانا قد

وقعا في شرك « منظمة هي من القوة والفظاظة بحيث لم يكن لهما أي مهرب حين أطبقت أنيابهـا عليهما . »[٤٢] وعلى المرء أن يخفف من وطأة هذه العبارة لأنها قيلت بلسان رجل مكلف بالدفاع عن الجنديين . غير أن من المحال أن نتغاضى عنهـا كلياً في ضوء قصة دبلوماسية الصهيونية السياسية وعملياتها ككل .

كانت النتيجة النهائية للارهاب الصهيوني في فلسطيـن في أثناء سني الحرب إقامة حاجز مـا بين الوكالة اليهودية وسلطات الانتـداب حتى أن الوكـالة عارضت عملياً أي عمل من جـانب السلطات ممـا يعترض طريق تحقيـق برنامج بلتمور[٤٣] . وعند نهاية الحرب اكتسبت الوكالـة خصائص حكومة مستقلة . وبتعبير آرثر كوستلر : « . . . وقد تطورت الوكالة اليهودية ؛ بقوة الظروف ، الى حكومة ظل ، إلى دولة في داخل دولة . فقد تحكمت بالقطـاع الاقتصادي اليهـودي في البلاد ، وكان لهـا مستشفياتها وخدماتهـا الاجتماعيـة . وأدارت مدارسها وجهاز استخبارها الذي كان جميع موظفي الحكومة اليهود عملياً مخبرين لديه ، وضبطت منظمتها العسكرية الخاصة ، وهي الهاغاناه المشهـورة ، نواة جيش إسرائيـل في المستقبل . »[٤٤] لقد كانت اسرائيل الناشئة موجودة من ذي قبل .

الفصل الثامن

البحث الصهيوني عن الدعم الامريكي

كان لدى الصهاينة في منح الولايات المتحدة اهتماماً خاصاً خلال فترة الحرب سببان رئيسيان: الأول أنهم بدأوا يشعرون، في مصاعبهم مع بريطانيا العظمى حول الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩، أنه إن أمكن تطوير المعارضة الأمريكية للكتاب الأبيض، فإن ضغطاً ذا وزن يمكن فرضه على البريطانيين [١]. وكان هذا صحيحاً بشكل خاص خلال الجزء الأول من الحرب لأن الولايات المتحدة كانت ما تزال مجرد حليف منتظر، وكان البريطانيون مهتمين بالمحافظة على انسجام تام في العلاقات ما بين البلدين. والسبب الرئيسي الثاني للاهتمام الصهيوني المتزايد بالولايات المتحدة كان لإحلال أميركا محل بريطانيا العظمى كمنهل رئيسي لمساندة «الأمم الأخرى». فقد بدت قوة بريطانيا الاستعمارية على شفا السقوط [٢]، وإن دخلت أميركا الحرب

فإنه محتمل كلياً أن تخرج من الصراع كزعيمة للغرب . ولئن حدث هذا ، كما كان بالفعل ، فإنه سيكون ضرورياً جداً للصهيونية أن تمتلك منافع الدعم الأمريكي . ووراء ذلك ، فإن سياسة الصهيونية الجديدة في دولة وشيكة القيام في فترة ما بعد الحرب تعني كفاحاً ضد البريطانيين ، لأن قيام الدولة يحول دون اي استمرار للانتداب . لقد انتهى قديم عهد التعاون مع البريطانيين ، وخطا إصدار الكتاب الأبيض خطوة أبعد فجعل من بريطانيا عدواً منتظراً .

لقد كان لهذه الاعتبارات أن كرس الصهاينة جهوداً كبيرة لجعل أميركا مركز مساندة « الأمم الأخرى » في غضون الحرب ، لأن هذه المساندة ، بعد انكسار المحور ، ستثمر فوراً إذا طبق برنامج بلتمور . وقد سار الصهاينة في مهمتهم على مستويات مختلفة ثلاث لضمان النجاح النهائي . فقد قصدوا لكسب قضيتهم الشعب الأمريكي ، والكنغرس ، والحكومة .

كسب الشعب

كلفت « لجنة الطوارىء الأمريكية للشؤون الصهيونية » ، التي دعيت فيما بعد « مجلس الطوارىء الأمريكي الصهيوني » ، بمهمة الدعاية للقضية الصهيونية في أمريكا[٣] . وقد نظمت هذه اللجنة لهذا الغرض في ٧٦ ولاية ومنطقة ورفدت بـ ٣٨٠ لجنة على المستوى المحلي[٤] . وفي نيسان ١٩٤١ ساعدت لجنة الطوارىء

في تشكيل اللجنة الأمريكية لفلسطين التي كان هدفها استقطاب دعم المسيحيين الأمريكيين[٥] . وقد كوّنت فيما بعد منظمة عُرفت بالمجلس المسيحي لفلسطين لتوجد موقفاً مؤيداً للصهيونية بين رجال الدين[٦] . وقد سهل هذا التقرب من الجمهور الأمريكي بانتشار الرأي البروتستانتي الذي اتصف بدراسة دقيقة وتفسير حرفي « للعهد القديم » ، وهو ظرف استغله الصهاينة بعناية[٧] . بيد ان الصهيونية السياسية ، كما أشير من قبل ، لا تملك من الشرعية سوى القليل من وجهة النظر المسيحية .

بالإضافة إلى الاهتمام بمساندة رجال الدين وفرق الكنيسة ، بحث الصهاينة أيضاً عن تعاون الصحفيين ومن يعملون في الخدمة العامة[٨] . وقد اتبع هذا المخطط بحملة واسعة . وفي عام ١٩٤٣ وصلت هذه الحملة أوجها في محاولة لـ « ... حقن كل شق في الساحة الأمريكية بالقومية السياسية الصهيونية[٩] . » وكما كان الحال في بريطانيا رسمت الدعاية الصهيونية في أميركا صراحة لخلق معارضة للكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، ولكنها في الوقت نفسه استهدفت إيجاد دعم لسياسة الصهيونية الجديدة – إقامة دولة يهودية[١٠] . وكان هذا الشرط المضاف يُضمّن تكراراً من غير قصد ، مما جعل كثيراً ممن سوف يترددون بغير ذلك في دعم مخطط لدولة وشيكة القيام يلتزمون بمثل هذا الموقف دون أن يعرفوا[١١] . ونقولها مرة أخرى ، إن اجتماع النباهة الصهيونية والجهل العام لخفايا الصهيونية لدى المسيحيين

أفضى إلى إيجاد دعم خطير الشأن لدى « الأمم الأخرى » للصهيونية .

حققت حملة الدعاية الصهيونية نجاحاً باهراً . وكنتيجة لها أقر ٣٣ مجلس ولاية تشريعياً ومجلس المنظمات الصناعية واتحاد العمال الأميركي قرارات تؤيد الصهيونية [١٢] . وبعد ذلك تقدم مجلسا الكنغرس بقرارات مشابهة ، وفي حملات الانتخابات عام ١٩٤٤ تبنى الحزبان السياسيان الرئيسيان برامج مؤيدة للصهيونية . وسوف تُبحث هذه الأحداث فيما بعد ، غير أن من الضروري أن نشير هنا إلى أن حملة الدعاية الصهيونية قد فعلت كثيراً لتشجيع هذه القرارات . وكمثل واحد على ذلك نقول إن اقتراح هذه القرارات في الكنغرس أتبع بطوفان من البرقيات للشيوخ والممثلين تهيب بهم أن يؤيدوا القرارات [١٣] . ولعل هذا الحادث يعكس فعالية علاقات الصهيونية العامة .

وإذا كان الصهاينة يقفزون هذه القفزات من التأثير على رأي « الكفار » الأمريكيين فإنهم لم يهملوا اليهود . فقد كان اليهود الأمريكيون دعاة « استيعاب » بالوراثة [١٤] . وحتى في عام ١٩٤٣ ، بلغ مجموع اليهود الأمريكيين المنضوين تحت لواء الصهيونية أقل من خمسة في المئة من تعداد اليهود في البلاد [١٥] . وقد أوجد هذا مشكلة خطيرة لدى الصهاينة ، فنودي بتحقيق النقطة الثالثة من برنامج هرتسل – إيجاد مساندة يهودية – فبعثت تنفيذية فلسطين ، رداً على التحدي ، بموظفي دعاية عرفوا باسم « شليشم » إلى أميركا ليقوموا بمهمة إقناع اليهود

الأمريكيين أن الصهيونية السياسية هي الحل الوحيد للازمة التي تواجه اليهودية العالمية .

وكانت الحجة الرئيسية التي استعملها الصهاينة لجر اليهود الى الحركة هي الإشارة إلى حاجة يهود أوروبا المظلومين إلى ملجأ . وقد عُرِضَت الهجرةُ المأساةُ لضحايا لاسامية هتلر كبرهان على حاجة يهود العالم الكامنة لبناء قوميتهم ورغبتهم في ذلك[١٧] . وهكذا استغلوا عطف جميع الناس الأخيار في بيع فكرة إقامة دولة يهودية . ولم يكن اللجوء بالنسبة للصهاينة همهم الحقيقي — ولكن حاجة اليهود الآنية للجوء هي التي استغلوها ليبرروا بها إقامة دولة يهودية في فلسطين . وفي فترة ما بعد الحرب أبدى الصهاينة اهتمامهم الحقيقي بهذه المسألة بامتناعهم عن دعم برنامج أتى به روزفلت لتزويد اللاجئين اليهود ببيوت في « الشتات »[١٨] .

كانت المحاولة الصهيونية لكسب اليهود الأمريكيين ، في نتيجتها الأخيرة ، ناجحة نجاح حملة كسب الجمهور الأمريكي غير اليهودي . وعند نهاية الحرب ضوعفت مراتب الصهيونية الأمريكية تقريباً ، [١٩] في حين أصبح شبه محال لأي يهودي ، في فترة ما بعد الحرب ، أن يعاكس الصهيونية ويحتفظ باحترام إخوانه اليهود . وفي خريف ١٩٤٣ ، نجح الصهاينة في إلزام المؤتمر اليهودي الأمريكي ، وهو تجمع لجميع أجنحة اليهود الأمريكيين ، بالتصديق على برنامج بلتمور [٢٠] . وقد اعترضت اللجنة اليهودية الأمريكية اللاصهيونية وعدد من

المنظمات اليهودية الأخرى ذات الآراء المشابهة على هذه المحاولة لجعل اليهود الأمريكيين بكثرتهم موالين للصهيونيـة . ومع أن هذه اللجنة كانت في الماضي قد قدمت جزءاً كبيراً من عضوية اللاصهيونيين في الوكالة اليهودية [٢١] ، فإن الصهاينة قد نبذوهم في الحال . وقـد اتهم الكاهن وايز ، الرئيس المساعد لمجلس الطوارىء ، والسيد هنري مونسكي ، رئيس « بناي بريث » ، اللجنة اليهودية الأمريكية بمحاولة شق اليهود الأمريكيين ، بينما أصر غيرهم أنهم يعملون ضد مصالح اليهود الأمريكيين[٢٢]. وقد أتبعت هذه الاتهامات باستقالة جميع الصهاينة من اللجنة ، مؤمّنين بذلك عزلها، كما كان الحال مع اللاصهيونيين في بريطانيا. وفي أثناء ذلك كله ، طمست مبادىء الوكالة اليهودية التي قدمت يوماً ما [٢٣] ، ونسي بتاتاً مبدأ صوت الأقلية والمعـارضة المفتوحة . لقد كان هذا انتصاراً صهيونياً جارفاً استقطب اليهود الأمريكيين .

كسب الكنغرس

في الوقت الذي كان الصهاينة فيه يبحثون عن كسب الجمهور الأمريكي لمبدأ إقامة دولة يهودية ، كان الأساس قـد أرسي لتحويل كنغرس الولايات المتحـدة في النهاية إلى القضيـة الصهيونية . فكانت الخطوة الأولى ، التي ذكرت من قبـل ، تنسيب ٦٧ شيخاً و ١٤٣ ممثلاً للجنة الأمريكية لفلسطـين . وفي كانون الأول ١٩٤٢ أبدى الكنغرس مرة أخرى قابليتـه

للدعاية الصهيونيـــة حين انضم ثلث مجلس الشيوخ إلى ألف ونصف الألف من الشخصيات الشعبية الأخرى في التوقيع على عريضة « تصحيحية » تطالب بايجاد جيش يهودي .[٢٤]

وقد جعل هذا النجاح الأولي الصهـــاينة يبحثون عن دعم أبعد لدى « الشعبة التشريعية الأمريكية » . فكان المطـلوب استصدار تصريح من الكنغرس يؤيد برنامج بلتمور . فوصلت مجموعة من ٥٠٠ كاهن ، في ٦ تشرين الأول ١٩٤٣ الى «الكابيتول» وعرضوا المطالب الصهيونية على نائب رئيس الجمهورية والاس[٢٥]. وألحقت هذه بتوسط صهيوني[٢٦] ، وفي كانون الثـاني ١٩٤٤ قدمت إلى كلا مجلسي الكنغرس قرارات بالمصـادقة على برنامج بلتمور[٢٧] . غير أن هذه القرارات أجلت بعـــد ذلك عملاً بنصيحة قائد الأركان الجنرال «مارشال» الذي شعر أن إقرارها سيكون خطيراً على جهود الحلفـاء في الحرب[٢٨] . وعلى كل حال فانه من العجب أن كادت الولايات المتحـــدة تلزم نفسها رسمياً بحركة ذات أثر عالمي ، وذات تاريخ وخفايا لا تكـاد تعرف أو تفهم . إن هذه كانت حصيلة ثلاث سنوات وحسب من التركيز الصهيوني على أميركا .

إن قصة معالجة القرار المقترح في « مجلس الممثلين » والمؤيد للصهيونية تجعلنا نتفهم نجاح الصهاينة مع الكنغرس . فحين قدم القرار إلى هذه الهيئة ، دفع به إلى لجنة العلاقـات الخارجية ، التي كان رئيسها سول بلوم ، وهو ممثل من نيويورك وصهيوني . وكان بلوم يأمل في بادىء الأمر أن يجد القرار موافقة من غير

ضرورة لسماعه[٢٩] . غير أن « المجلس الأمريكي لليهودية » ، وهو منظمة يهودية معادية للصهيونية ، أصر ، ههنا ، على سماع القرار ، الأمر الذي تحقق بعد ذلك [٣٠] . يذكرنا هذا بالدور الذي قام به اليهود البريطانيون غير الصهيونيين في الحرب العالمية الأولى ، حين أعيـــد النظر ، نزولاً عند إصرارهم ، بالمسودة الصهيونية الأصلية لتصريح بلفـــور ، بحيث يتضمن اعترافاً بحقوق الطـــائفة غير اليهودية في فلسطين وحقوق اليهود في « أرض الشتات » .

وحين استمع المجلس للقرار ، قدم سول بلوم لأعضاء اللجنة نشرة كان أعدها لتوجيههم نحو المسائل الضرورية المتعلقـــة بالقرار . بيد أن هذا الكتيب ، في حقيقة الأمر ، قد كُرّس بشكل رئيسي لإجمال الموقف الصهيوني من فلسطـين ، واختتم بمذكرة من الوكالة اليهودية تقدح في الكتاب الأبيض لعـــام ١٩٣٩[٣١] . ولم يحتوِ الكتيب حتى على تقرير من وزارة الخارجية ، وهو أمر عجيب لما يتضمن القرار المنظور فيه من تطور خطير في السياسة الخارجية الأمريكية ، تلـــك التي أناط رئيس الجمهورية أمرها بوزارة الخارجية بشكل خاص . ولا بد للمرء من أن يشير أيضاً الى أن بلوم قد استغل منصبه كرئيس للجنة في توجيه النقاش بحيث يتجنب إحراج الصهيونية [٣٢] .

ومع أنـــه لم ينتـج شيء عن القرارات التي عرضت على الكنغرس في هذا الوقت ، فقد عوض الصهاينة عن هذه النكسة المؤقتة في المؤتمرات الوطنية في الصيف التالي . فتأتى عن هذا

التأثير المزدوج للمحاولات الصهيونية لاستمالة الجمهور واستقطاب أعضاء الكنغرس تبني مؤتمري كلا الحزبين لبرامج مؤيدة للصهيونية [٣٣] . في هذا الوقت كان الصهاينة قد نجحوا في ربط اليهود الأمريكيين بقضيتهم في أذهان « غير اليهود » وكثير من اليهود حتى أنه لم يشعر أي من الحزبين أن بإمكانه ألا يؤيد الصهيونية وأن يأمل في الوقت نفسه في الحصول على أي تأييد من الناخبين اليهود . وما أن انتهت الانتخابات حتى أخذ سول بلوم على عاتقه مسؤولية تذكير رجال الكنغرس ببرامج حزبيهم وتعهداتهم في الحملة الانتخابية ، وهي مهمة أنجزها بوساطة نشرة كان طبعها في مكتب الطباعة الحكومي [٣٤] .
والواقع أن الكنغرس الأمريكي قد اجتُذِبَ ولم يعد بالإمكان التراجع ، فاستطاع الصهاينة أخيراً إلزام الولايات المتحدة بقضيتهم بوساطة « ... عدد مطلق من القرارات ... » [٣٥]

كسب الحكومة

ألقيت مهمة كسب مساندة الحكومة الأمريكية للقضية الصهيونية في أثناء سني الحرب على عاتق سيد الدبلوماسية الصهيونية في مستويات الحكومة العليا ، الدكتور وايزمن . فقام وايزمن ، في أثناء الحرب ، بثلاث رحلات إلى الولايات المتحدة . وفي كل مناسبة كرس وقتاً وجهداً وافرين للوصول إلى التزام الحكومة بالصهيونية وبمبادىء برنامج بلتمور . وكانت مقابلته

الأولى مع روزفلت في شباط ١٩٤٠ ، حين حاول أن يتحسس رأي الرئيس حول إمكانية موقف أمريكي رسمي يعارض كتاب مكدونالد الأبيض [٣٦] . على أن الحذر في هذا التقرب – وكان موضوع اقامة الدولة قد تجنبه وايزمن بعناية – قد فشل في إثارة أكثر من تجاوب ودي ولكن غير ملتزم من جانب الرئيس . ولعله كان في هذه المقابلة الأولى أن أصبح وايزمن مدركاً لدهاء روزفلت السياسي الفريد . وكان على الوقت أن يثبت أن الرئيس ، بالرغم من أنه لم يكن أبداً معادياً للصهيونية ، كان متردداً دائماً في منحها عطفاً خاصاً ، ذلك أنه كان يعتقد أن الحكمة تقتضي البحث عن حل عربي – صهيوني مشترك لقضية فلسطين .

سافر وايزمن الى اميركا مرة أخرى في ربيع ١٩٤١ . وقد ذهب هذه المرة تلبية لطلب الحكومة البريطانية لينظر في الاتجاه الرائج في ذلك الوقت حول الدعاية المعادية لبريطانيا في الولايات المتحدة [٣٧] . ويذكرنا هذا الموقف بفترة الحرب العالمية الأولى حين تطوع الصهاينة بمساندة الجهود الحربية البريطانية من خلال استقطاب يهود العالم – واليهود الأميركيين بالذات – حول قضية الحلفاء . وقد لا يكون وايزمن سأل شيئاً مقابل هذه الخدمة سنة ١٩٤١ ، ولكنه لا جدل في أن العرض الصهيوني في الحرب العالمية الأولى لم يكن سوى حصتهم في صفقة كان على البريطانيين فيها أن يؤيدوا القضية الصهيونية .

وفي أثناء زيارة ١٩٤١ تحدث وايزمن مع سَمْنر ويلس ،

الذي كان قد اجتذب للصهيونية، ومع غيره من رسميي الحكومة الكبار . على أنه وجد ، كما كان عهده مع الحكومة البريطانية ، أن الموظفين الصغار يرفضون أن ينجذبوا للقضية الصهيونية [٣٨]. وكان في هذا المستوى أناس خدموا وتخصصوا بالشرق الأوسط. وكما وقفت البعثات البريطانية في وجه إصرار الصهيونية على أن تعار مطالبها الخاصة انتباهـــاً مطلقاً ، كذلك لم ينظر موظفو وزارة الخارجية الأمريكية وغيرهم من المسؤولـين عن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط إلى مصالح الصهيونية كشيء خاص وفريد . ولكن مثلما كانت تعكس في لنـدن السياسة التي تقترحها البعثات البريطانية ، كذلـك أمكـن أن تعكس آراء الخبراء الأمريكيين بالشرق الأوسط في واشنطـن . لذلك استمر وايزمن يركز على المستويات العليـا ، حيث يمكن نقض القرارات الآتية من أسفل .

في وقت مبكر من عـام ١٩٤٢ طلب روزفلت من وايزمن أن يأتي إلى الولايات المتحدة ليساعد في تطوير المطاط المركب . ونتيجة لهذا الطلب قدم وايزمن مرة أخرى إلى أميركا في نيسان ١٩٤٢ وبقي حتى تموز من السنة التالية . وفي أثناء هذه الفترة لم يوقف وقته على الكيمياء وحسب ، ولكن على مُساءلة الزعماء الأمريكيين أيضاً فيما يمكن للصهيونيـــة أن تتوقع من الولايات المتحدة من عون [٣٩] . وقبل أن يرحل كانت له مقابلة أخرى مع روزفلت بحضور سمنر ويلس . [٤٠] وفي هذا الاجتماع تجنب روزفلت مرة أخرى الالتزام الإيجابي بالصهيونية ، ولكنه عبر

عن عطفه العام على الحركة . هذا ، في الوقت الذي حاول فيه ويلس أن يثير لدى الرئيس تجاوباً أكثر عطفاً ، بتلميحه إلى فكرة إقامة دولة يهودية مقترحاً دعماً مالياً أمريكياً لإقامة تلك الدولة . وكان روزفلت قد بدأ من قبل يميل إلى فكرة تسوية عربية — يهودية للمشكلة الفلسطينية ، فاقترح مثل هذا العمل في هذا الاجتماع . غير أن وايزمن اعترض قائلاً انه اذا اعتمد انشاء الوطن القومي اليهودي على موافقة العرب فإنه لن ينشأ أبداً وكان اقتراحه المقابل أن تتخذ بريطانيا العظمى والولايات المتحدة موقفاً قوياً وراء انشاء الوطن ، أو الدولة ، وأن يجبرا العرب بذلك على أن يذعنوا أمام تلك القوة العارمة ، مثلما أجبروا على الإذعان لتصريح بلفور وتواليه بوساطة القوة البريطانية (٤١) .

وبالرغم من اقتراحات وايزمن ، فإن روزفلت قد مضى بخطته لتشمل العرب في التسوية النهائية لمسألة فلسطين . وحين أصبح معروفاً أنه كان يقصد الى تعاون ابن سعود في هذا الأمر ، اتخذ الصهاينة الأمريكيون موقف العداء . وفي ١٨ آب ١٩٤٣ هدد عمانويل سِلَر ، وهو عضو صهيوني في الكنغرس ، رئيس الجمهورية بتحقيق يجريه الكنغرس اذا لم تتخذ الإجراءات لوقف وزارة الخارجية عن استمرارها في مناوأة الصهيونية (٤٢) . وكانت هذه طريقة غير مباشرة في تهديد الرئيس نفسه . غير أن الصهاينة لم يستطيعوا إلاّ بعد وقت أن يحرزوا تقدماً مع روزفلت .

وفي الوقت الذي علق فيه العمل بقرارات الكنغرس

المقترحة في المصادقة على إقامة الدولة اليهودية ، نجح الكاهنان وايز وسلفر ، مساعدا رئيس المجلس الأمريكي الصهيوني للطوارىء ، في جعل روزفلت يصرح بما يؤيد معارضة أمريكية للكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ . أما الكلمات الحقيقية للتصريح ، الذي أذن لوايز وسلفر في تقديمه للصحافة ، فقد صيغت بعناية لم تفصح في جوهرها عن أي التزام بالصهيونية [٤٣] . وقد قال الرئيس ، اشارة الى الكتاب الأبيض ، ان حكومة الولايات المتحدة لم تبد موافقتها البتة على تلك السياسة . ولكن ذلك لم يعلن عن معارضة أمريكية فعالة للكتاب الأبيض ، بالاضافة الى أن الانتداب لم يكن بأي حال من مسؤولية الولايات المتحدة أو اهتمامها . وقد كانت تعليقات الرئيس الأخرى مراوغة أيضاً : فقد سره أن تكون أبواب فلسطين مفتوحة وأمل في أن تكون العدالة من نصيب دعاة الوطن القومي اليهودي غير أن الصهاينة ، على كل حال ، استطاعو أن يستعملوا شبه التأييد هذا لقضيتهم وذلك بتفسيره بطريقة توحي للجمهور الأمريكي أن رئيس جمهوريتهم كان وراء مبادىء برنامج بلتمور كلياً . وقد كان التصريح مناسباً جداً لبرنامج الصهاينة في سنة الانتخابات . ولولا كونها سنة انتخابات لشك المرء في أن يحصل وايز وسلفر على هذا القدر من التأييد .

وبعد ذلك بسنة – في ١٦ آذار ١٩٤٥ – حاول وايز أن يستصدر تصريحاً آخر من الرئيس [٤٤] . وكان في هذه المرة أن أثير الهياج الصهيوني حول اجتماع روزفلت بابن سعود بعد مؤتمر

يالتا . ومع ذلك فان روزفلت ، الذي كان واضحاً اقتناعه عند هذه النقطة بضرورة وئام عربي – يهودي في فلسطين ، رفض ان يمضي ابعد مما فعل في السنة الماضية ، وقال ببساطة إنه لم يغير موقفه من الصهيونية .

وبالرغم من أن الصهاينة لم ينجحوا في معاملاتهم مع روزفلت ، فانهم في أثناء ادارته ابتدأوا تقليداً يقصد الى التأثير على السياسة الأميركية في الشرق الأوسط من خلال البيت الأبيض[٤٥] . وفي زمن رئاسة ترومان جاءت هذه المناورة بنتائج حسنة ودائمة ، لأنه بتحمس ترومان انضمت الحكومة الى الكونغرس والجمهور لتغدو هدية جديدة في الكفاح الصهيوني لإقامة دولة يهودية .

الفصل التاسع

صُنع إسرائيل الحديثة

الصهاينة وحكومة ترومان

بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، ووجه الصهاينة بمهمة تطبيق برنامج بلتمور الصعبة . فتوجهوا بشكل رئيسي إلى الولايات المتحدة بحثاً عن مساندة « الأمم الأخرى » في مسألة التوصل إلى دولة يهودية ، وذلك حين علنوا خيبة أمل أولية لعدم بحث مؤتمر يالتا للمسألة الفلسطينية بشكل ملموس [1] . ولقد حانت ساعة الصهيونية للنجاح النهائي أو الفشل ، ولكن العمل التحضيري الذي أنجز في أمريكا خلال الحرب قد وفر الفوائد المطلوبة لضمان النصر .

وتحرك الصهاينة بسرعة عقب وفاة روزفلت ليعرفوا الرئيس الجديد بأنفسهم ومخططهم . فبعد بضعة أيام فقط من

إقسام ترومان اليمين الدستورية زاره الكاهن وايز ، وكان ادوار ستِتِينيْيَس ، وزيرُ الخارجية في ذلك الوقت، قد أوجز للرئيس الجديد سياسة روزفلت في فلسطين وحذره من أن الزعماء الصهاينة سيحاولون الحصول على التزامه بالبرنامج الصهيوني لهجرة غير محدودة ولإقامة دولة يهودية [٢] . غير أن الوقت أثبت أن زيارة وايز لترومان لم تكن سوى بداية تحويل الصهيونية النهائي للحكومة صوب قضيتها .

أما قصة رغبة ترومان المتزايدة في الانجرار إلى خدمة الصهيونية فانها تصبح أوضح في ضوء عوامل عدة . أولها أنه ، كليبرالي ، كان متحمساً بشكل عفوي لأي شيء تلوح فيه خدمة اليهود أو أية أقلية أخرى . وهذه واحدة من وسائل فهم صهيونية « الأمم الأخرى » ، بالرغم من أن الفكرة الليبرالية منطقياً ، ولسخرية القدر ، تهدف إلى مبدأ « الاستيعاب » ، بينما تعتمد الصهيونية على فرضية ان « الاستيعاب » محال . فمباركة الصهيونية ، لذلك، تعني الإقرار بفشل الغرب في مكافحة حقده العنصري .

وكان مرتبطاً بالأساس الليبرالي لميل ترومان الصهيوني عطفه الطبيعي على اللاجئين اليهود في أوروبا [٣] . فسمح هنا أيضاً للصهاينة أن يساووا في ذهنه ما بين خلاص اللاجئين وتحقق البرنامج الصهيوني . وكان هذا نتيجة حملة الدعاية الصهيونية وقت الحرب ، تلك التي نشرت فكرة أن الصهيونية كانت الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين اليهود . وقليل من وقف يتفكر فيما إذا

كان وجود اللاجئين اليهود يبرر بالضرورة الصهيونية وما تعتمده من حجج .

وتفسير آخر لميل ترومان الصهيوني كان التبـــاس الأمر الواضح عليه فيما يتعلق بمعنى مبادىء ويلسن وتطبيقها على حقائق الشرق الأوسط . فقد قال ترومان في مذكراته أنه شعر دائمـاً أن تصريح بلفـور كان متفقـــاً مع مذهب ويلسن في تقرير المصير [٤] . ومع أن المرء لا يشك في صدق الرئيس في تعبيره عن عطفه على المذهبين ، ولكنه مضطر إلى أن يشير الى سذاجة ترومان في هذه المسألة . فليس أن المذهبين لا علاقة لواحدهمـا بالآخر وحسب ولكنهما في الواقع متناقضان . فلو طبق مبـدأ تقرير المصير على فلسطين لاستبعدت امكانية بناء دولة يهوديـــة في تلك البلاد ، لأن الأغلبية العظمى من السكان كانت غير يهودية يوم نادى ويلسن بالنقاط الأربع عشرة . أضف الى ذلـك ان ناقدي الصهيونية قد أشاروا الى الأحداث التي أدت الى إيجاد اسرائيل على انها انتهاك بيّن لمبـدأ تقرير المصير ، ولقد فعلوا ذلك بحجة لم ينقصها المنطق . لذلك يبدو ثابتاً ان ترومان ، مهما كان صادقاً وانسانياً في حوافزه ، قد افتقد الفهم الواضح للمبادىء المعنية . وليس ذلك لمناقشة حقه في دعم إيجاد دولة يهودية ، ولكن لرفض منطقـــه في تبرير ذلك بمذهب تقرير المصير .

وفي صيف عام ١٩٤٥ أصبح تأثير الصهاينة على ترومان واضحاً [٥] . ففي ٣١ آب قام الرئيس بعمله الإيجـــابي الأول

لصالح الصهيونيـة حين طلب من اتلي ، رئيس وزراء بريطانيا العظمى ، قبول ١٠٠,٠٠٠ لاجىء يهودي لدخول فلسطين[٦] . فأصبح بايرنز ، الذي كان وزيراً للخارجيـة وقتهـا ، مهتماً بالتالي بردة فعل الشرق الأوسط العربي لمطلب ترومان . فأذاع لذلك في ١٨ تشرين الأول ان حكومة الولايات المتحدة « ... لن تدعم قراراً نهائيـاً يؤثر برأيه في الموقف الأساسي في فلسطين بدون الاستشارة التامة لليهود وللعرب كليهما[٧] . » والواقع أن هـذا كان اقراراً لمذهب روزفلت في فلسطين ، الذي كان جوزف غرو قد أطلع ترومان عليه قبل ذلك في تلك السنة [٨] .

جواباً على طلب ترومان أن يُسمح لِ ١٠٠,٠٠٠ يهودي بدخول فلسطين، ذكّر أتلي الرئيس بالعهود التي قطعت للشعوب العربية . وفيما بعد ، اقترحت الحكومة البريطانية إيجاد بعثة إنجليزية – أمريكية لدراسة الوضع الفلسطيني ، ولتوحي بما يجب القيام به من أعمـال مناسبة [٩] . وسنروي قصة لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية فيما بعد . ولكن يجب أن نشير ها هنا إلى أن ترومان قد اختار من بين توصياتهـا المختلفة تلك الموافقة للصهيونية لمدحها وإقرارهـا أمام الجمهور [١٠] . ومن بين هذه كانت اقتراحات ترومان الخاصة في أن يقبل ١٠٠,٠٠٠ يهودي إلى فلسطين . وحـين ظهرت كتوصية للجنة ، أذاع الرئيس أن الولايات المتحدة سوف تضطلع بالمسؤولية المـالية في نقل اللاجئين الى فلسطين [١١] .

وبينما كان ترومان يحاول جعل بريطانيا تتخذ خطاً أكثر ليناً في مسألة الهجرة ، كان الصهاينة ، بكلماته ، يجعلون مهمته أصعب ببحثهم عن دعم أمريكي لإقامة دولة يهودية [١٢] . وفي ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ تلقى الرئيس برقية من الكاهنين وايز وسلفر يقترحان الغاء فكرة إرسال لجنة أخرى لاستقصاء الحالة الفلسطينية وذلك من أجل إعلان سياسة لا تؤيد نقض الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ والقبول الفوري لِ ١٠٠،٠٠٠ يهودي إلى فلسطين وحسب ، ولكنها تدعو أيضاً الى تطبيق مقصد تصريح بلفور [١٣] . وبطبيعة الحال فان جميع الصهاينة يعنون بكلمة « مقصد » ايجاد دولة يهودية ، مع ان ذلك في الحقيقة مقصد الصهيونية لا تصريح بلفور ، الذي حمى الطائفة غير اليهودية في فلسطين .

أما تصعب ترومان من فهم السبب في اعاقة الصهاينة لجهوده في مساعدتهم بطلبهم أكثر من تسهيل الهجرة الى فلسطين فهو دليل آخر لفهمه الساذج للحركة الصهيونية . ولو أنه قام حتى بدراسة سطحية للعمليات الصهيونية في أميركا خلال الحرب لتحقق من أن الصهاينة قد تبنوا سياسة حازمة تؤكد على دولة يهودية وشيكة القيام ، ولرأى ان حملتهم لإيجاد معارضة أمريكية للكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ وعطفٍ أمريكي على محنة اليهود الأوروبيين استهدفت في الحقيقة بيع فكرة الدولة اليهودية في فلسطين للجمهور الأمريكي وللكنغرس وللحكومة .

يقول ترومان ، متفكراً بمشكلة اللاجئين في أوربا وبزايدة

الصهاينة في إقامة الدولة : « في رأيي أن أهداف الصهاينة وأغراضهم في هذه المرحلة لإنشاء دولة يهودية كانت ثانوية بالنسبة للمشكلة الأكثر الحاحاً وهي ايجاد وسائل للتفريج عن كرب المشردين [١٤]. » ههنا ، مرة أخرى ، برهان لا على صدق الرئيس الحقيقي ، وشعور الإحسان المسيحي لديه حول مشكلة اللاجئين وحسب ، ولكن على فشله في فهم الصهيونية أيضاً . فأهداف الحركة وأغراضها الأساسية ، بالنسبة للصهيونية السياسية ما كانت ثانوية أبداً . ولا نقول بهذا إن الصهاينة لم يكونوا عميقي الاهتمام بمحنة اليهود الأوروبيين ، ولكنهم يعتقدون أن الدولة اليهودية هي الحل الوحيد والحقيقي للمشكلة اليهودية [١٥] .

أما اعتبار الصهيونيين ، لمشكلة اللاجئين أمراً ثانوياً بالنسبة لهدف الصهيونية فقد كشف عنه في أثناء الفترة الأخيرة من الحرب وفي مناسبتين أخريين بعد استتباب السلم . ففي أثناء الحرب عُني الرئيس روزفلت بتطوير خطة يمكن بها إسكان لاجئي أوربا اليهود في الأمم التي ترحب بهم في أرجاء العالم . وقد عين الرئيسُ موريس ل. إيرنست ليضطلع بالتخطيط الأولى لهذا البرنامج الإنساني . على أن إيرنست اكتشف أن الصهاينة ينظرون إلى هذا العمل ، الذي اعتبره مشروعاً عظيماً لخلاص اليهود الأوروبيين المجتثة جذورهم ، كخطة غادرة تهدد تحقيق الصهيونية نفسها . ويصف إيرنست ردة الفعل الصهيونية هذه «

التي ستذهل بالتأكيد أي امرىء لم يفهم الصهيونية ، بالعبارة الكثيرة الإيضاح التالية [١٦] :

« عجبت ، بل إنني شعرت بالإهانة حين ندد بي الزعماء اليهود النشيطون ، وهزئوا بي ثم هاجموني كأنني خائن . وفي إحدى حفلات العشاء اتهمت صراحة بدعم الهجرة الحرة هذه [لليهود إلى بلاد العالم] من أجل تقويض الصهيونية السياسية ... لقد وقف أصدقائي الصهاينة في وجه [برنامج روزفلت] ...

... لقد فهمت لماذا ... يشعر زعماء هذه الحركات [الصهيونية] أن رسالتهم المدللة يهددها بالخطر كرم برنامج روزفلت وانسانيته »

وفي مناسبتين بعد الحرب اظهر الصهاينة هذه اللامبالاة نفسها تجاه الاهتمام الإنساني بالمشردين اليهود إن لم يعن هذا الاهتمام إسكانهم في فلسطين . وفي ١٥ كانون الأول ١٩٤٦ ، حين أقرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة الاقتراح القائل بأن يفتح أعضاء المنظمة العالمية أبوابهم للاجئين ، تلقى الصهاينة ، ويهود « الشتات » الآخرون الذين تم تحويلهم ، هذا القرار بقليل من الترحاب[١٧]. وشبيه بذلك أنه في عام ١٩٤٧ حين نوقش مشروع قانون أمام مجلس الممثلين فيما يتعلق بقبول المشردين إلى الولايات المتحدة ، أظهر الصهاينة فقدان حماس واضحاً [١٨] .

وباختصار استمر الصهاينة يعتبرون إقامة دولة يهودية كشيء أول وفوق كل اعتبار . وقد يخلُص المرء من أعمالهم إلى أنهم

اهتموا بمشكلة اللاجئين اليهود بقدر ما ساهمت باقامة الدولة ، التي هي غرض الصهيونية السياسية .

كانت سنة ١٩٤٦ سنة انتخـــابات الكنغرس في الولايات المتحدة ، فاستغل الصهاينة هـــذا الظرف للمضي بقضيتهم إلى مدى أبعد . وقيل إن « ديوي » ، في ولاية نيويورك ، كان ينظر في نصيحة اصدار تصريح مؤيد للصهيونيـــة . أما « ميد » و « ليمان » ، اللذان نزلا عـــن الديمقراطيين كشيخ وحاكم ، بالترتيب ، جاءا فوراً إلى ترومان يحثانه على إصدار تصريـح مشابه عن الحزب الديمقراطي . وكانت نتيجة ذلك تصريحاً من ترومان يدعو مرة أخرى لقبول ١٠٠،٠٠٠ يهودي إلى فلسطين. وهكذا التزمت الحكومة وكذلك كلا الحزبين بدعم الصهيونية أكثر من ذي قبل[١٩]. وفي السنة التالية عبر الرئيس عن ندمه لأنه ألزم نفسه بالصهيونية إلى تلك الدرجـــة من الحزم حين أدلى بتصريحه حول الـ ١٠٠،٠٠٠ لاجيء يهودي عام ١٩٤٥ [٢٠] . بيد أنه حين كان الصهاينة عام ١٩٤٦ « ... يقومون بدعايـــة عنيفة ونشيطة للضغط على الرئيس فيما يتعلق بهجرة اليهـــود الفورية إلى فلسطين [٢١] ... » ، لم تكن لديه إمكانية للرجوع. وفي عام ١٩٤٧ كادت عبارة ندامتـــه تكون نظرة إلى الخلف لا أثر لها ، لأن الصهاينة كانوا قد كسبوا الحكومة إلى جـانبهم وكانوا مشرفين على إقامة الدولة .

الصهاينة والحكومة العمالية في بريطانيا

بالرغم من قرارات حزب العمال المؤيدة للصهيونية في اثناء الحرب ، فان هـذا الحزب اتخذ موقفاً من الصهيونية أشد حزماً حين تسلم السلطة سنة ١٩٤٥ . وأولى أمارات هذه السياسة كانت رفض رئيس الوزراء أتلي أن يصادق تلقائياً على اقتراح ترومان في أن يسمح لـ ١٠٠,٠٠٠ لاجىء يهودي بالدخول الفوري الى فلسطين . وفي هذا الوقت أيضاً أذاع وزير الخارجية ، إيرنست بيفن ، أن الهجرة إلى فلسطين ستحدد بـ ١,٥٠٠ في الشهر [٢٢] واتصل وايزمن بعد ذلك بـ « بيفن » لبحث أمر العدد القليل من براءات الهجرة التي أُصدرت[٢٣] . وكان الصهاينة قد رفضوا ، استهانة بذلك ، كل براءة ، وآثروا ألا يقبلوا شيئاً دون مطالبهم الكاملة . فتحدى بيفن لهذا العمل وايزمن قائلاً : « أتحاول أن تخضعني بالقوة ؟ لئن أردت قتالاً فليكن ! »[٢٤] . والآن ، حين أصبح حزب العمال مضطلعاً بمسؤولية الانتداب وعلاقات بريطانيا بالشرق الأوسط ككل ، كان عليه أن ينظر بعين الاعتبار لمصالح الطائفة غير اليهودية في فلسطين وكذلك مصالح الصهاينة ، وهو طريق متاوزن أورث بيفن سخط وايزمن القاسي .

ويبدو أن الصهاينة كانوا في الواقع يتوخون استنان سياسة مشايعة لأهدافهم . فهذا في الأساس ما قصده وايزمن لدى روزفلت في وقت سابق[٢٥] . غير أن الصهاينة لم يتوصلوا أبداً

إلى هذا مع حزب العمال ، كما لم يتوصلوا إليه في الحقيقة مع روزفلت . ولكن هذا في الواقع لم يؤثر شيئاً ، لأنه حين باتت حكومة ترومان ملتزمة تدريجياً بالقضية الصهيونية ، توصلت الصهيونية إلى دعم « الأمم الأخرى » اللازم لتصل إلى هدفها في إقامة دولة يهودية .

أوقع الصهاينة ، بوساطة الولايات المتحدة ، ضغطاً متزايداً على حكومة بريطانيا العمالية . فعقب تصريح معارض لقبول ١٠٠،٠٠٠ يهودي إلى فلسطين أدلى به بيفن في حزيران ١٩٤٦ احتج شيخا نيويورك إلى وزارة الخارجية البريطانية مباشرة ، بينما أوصى الدكتور سلفر المواطنين الأمريكيين أن يسألوا رجالهم في الكنغرس حول الحكمة من إعطاء قرض إلى بريطانيا[٢٦] . ففي هذا الوقت كان الكنغرس ينظر في قرض بمبلغ ٣،٧٥٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار للمملكة المتحدة [٢٧] . وكانت محاولة الصهاينة الضغط على الحكومة البريطانية بتهديدها بالعمل الفعال ضد إقرار المرسوم ذات أثر في إجبار البريطانيين على التخفيف من غلواء سياستهم العربية وعلى اتخاذ موقف أكثر عطفاً على الصهاينة [٢٨] . وحين ترك البريطانيون أمر فلسطين ، فيما بعد ، كانت الولايات المتحدة مرة أخرى هي التي انتصرت للصهيونية حين كُسبت معركة التقسيم في الأمم المتحدة . ونتيجة لذلك عوض نجاح الصهاينة في أميركا على النكسات التي عانوها في بريطانيا العظمى ، وأصبح النجاح النهائي بذلك أمراً طبيعياً .

« أدى اقتراح رئيس الوزراء أتلي في أن يتقدم تحقيق إنجليزي

أمريكي على أي قرار حول مشكلة فلسطين [أدى] إلى إيجاد لجنة تحقيق إنجليزية – أمريكية . فتكونت اللجنة من ستة أمريكيين وستة بريطانيين درسوا المشكلة حتى نيسان ١٩٤٦ . وقد اتهمت حكومة ترومان كثيراً بحشو اللجنة بمؤيدي الصهيونية . وبالرغم من أن هذا الاتهام صعب اثباته ، فإنه من الجدير بالملاحظة أن واحداً من الأعضاء الأمريكيين ، وهو جيمس ج. مكدونالد هو اليوم في خدمة المنظمة الصهيونية في أمريكا ، وأن بارتلي كـرَمْ قد ألف كتاباً [٢٩] وأدلى بالعديد من التصريحات العامة التي لا تترك للشك بهواه الصهيوني مجالاً .

لم تفرح توصيات اللجنة النهائية أياً من الصهاينة أو العرب [٣٠] . فمن جهة أن اقتراح ترومان بقبول ١٠٠,٠٠٠ لاجيء يهودي قد أقر ومن جهة أخرى ، أنكر على أي من العرب أو اليهود حق إقامة دولة في البلاد [٣١] . وبعد ذلك اجتمعت في لندن لجان بريطانية وأمريكية خاصة لتتباحث في تطبيق توصيات لجنة التحقيق الإنجليزيه الأمريكية ، فنتجت عن هذه المباحثات خطة موريسون – غرايدي ، وهي خطة غير عملية لتقسيم فلسطين تحت إشراف بريطاني [٣٢] . وقد رفض هذه الخطة العرب واليهود كلاهما ، وهكذا قدر بالفشل للمهمة كلها التي ابتدأت بتعيين لجنة التحقيق .

أدلى بيفن ، معلقاً على هذه النتيجة ، بعدة تعليقات ثاقبة ومثيرة للتفكير في مجلس العموم . وقد شكا أنه كان بامكانه

أن يصل الى تسوية عربية – يهوديـــة للمسألة الفلسطينية لو لم يصرّ ترومان على مصلحة حزبه السياسية الخاصة في تصريحات كثيرة تحبذ قبول ١٠٠،٠٠٠ يهودي إلى فلسطين . وقد قال : « لا أستطيع أن أسوّي الأمور في المسائل العالمية ، إذا جعل من المشكلة موضوعاً لانتخابات محلية . »[٣٣] وقال في نقاشه أن مشكلة اللاجئين اليهود يمكن تسويتها بتهجيرهم الى فلسطين لو عولجت المسألـــة على المستـــوى الإنساني لا السياسي . وقال : « إنه من سوء الحظ أن هذا لم يكن . فال ١٠٠،٠٠٠ من وجهة النظر الصهيونية ، ليست سوى البداية ، وتتحـدث الوكالة اليهودية بالملايين . »[٣٤] . وقد عبر إلى ذلك عن شعوره أنه لم يكن هناك أساس أخلاقي يرتكز عليه ايجاد أغلبية يهودية فيما كان قبل ذلك الوقت بلداً تسكنه أقلية يهودية[٣٥] . لقـد فهم بوضوح الفرق بين مشكـــلة اللاجئين الإنسانية ومشكلة الصهيونيـة السياسية . ولم يسمح لنفسه أن ينسى أن تصريـح بلفور لم يقطع على نفسه العهود للصهاينة وحدهم .

استثار بيفن حقد الصهيونيـــة بسبب هذا التفهم الواضح لمعضلة فلسطين المعقدة ، تماماً مثلما أثار إصراره عام ١٩٤٦ على أن هناك فرقاً بين الصهيونية واليهودية عاصفة من الاحتجـاج الصهيوني[٣٦] . ولا يمكن الشك بوجود هذا الفرق ، في ضـوء التحقيق الأمين ، ولكن برنامج هرتسل استهدف دائماً محو هذا الفرق . والواقع أنـــه كان وضوح بيفن ذلك الذي لم يستطع الصهاينة تحمله . وقد نسوا أيضاً بسهولة أن وايزمن نفسه اعترف

أمام لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية أن إقامة دولة يهودية في فلسطين سيكون ظلماً للعرب ، وأنه ادعى أن تحقيق الصهيونية يشمل الظلم الأقل (٣٧) . غير أن هذا كله كان مدرسياً . فقد كانت خصوصية الصهيونية الملحّة هي التي انتصرت .

لم يتحد الصهاينة حزب العمال في بريطانيا وحسب ولكن في فلسطين أيضاً . فقد استمرت المحاولة الصهيونية لنقض سياسة الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ من خلال المقاومة الإرهابية في إثناء الحرب وتوسعت بعد انتهاء العداوات . وفي فترة ما بعد الحرب أصبح الإرهاب اليهودي أكثر ربطاً بالقيادة الصهيونية ، بينما تقررت الهجرة غير الشرعية سياسة للطائفة اليهودية .

وفي أيلول ١٩٤٥ رسمت القيادة الصهيونية في فلسطين ولندن خطاً لإرغام بريطانيا بوساطة حملة ارهابية مصممة بشكل خاص . وقد أجملت هذه الخطة في بدايتها بكلمات عضو في الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية في فلسطين (٣٨) :

واقترح أيضاً أن نسبب حادثاً خطيراً ، ثم نصدر تصريحاً مفاده أنه لم يكن سوى تحذير وعلامة لحوادث أخطر بكثير سوف تهدد سلامة المصالح البريطانية في البلاد ، إذا قررت الحكومة أن تقف ضدنا . . . وقد عبرت جماعة شتيرن عن رغبتها في الانضمام لنا كلياً على أساس مخططنا في الإرهاب . ان النوايا هذه

المرة تبدو جادة . ولئن كان هناك مثل هـذا الاتحاد ، فمن الممكن أن نفترض أننا نستطيـع وقف العمـل المستقل الذي تقوم بـه ا . ت . ل [إرغون تزفاي لئومي] .

وسريعاً ما عمل بهذا المخطط الإرهابي المرتكز على تعاون بين القيـادة الصهيونية والمنظمات الإرهابية التي شجب عنفها دائماً . ففي اليوم الأخير من تشرين الأول نسف أعضاء فرقـة فدائية يهودية مصطفاة تعرف باسم « البـالماخ » ، الخطوط الحديدية في عدة أماكن ، بينما هاجمت الإرغون تزفاي لئـومي وجماعة شتيرن محطة حديد اللد ومصفاة حيفا ، بالترتيب (٣٩) . وقد ساعد انفجار العنف المنظم هذا على الإسقاط في يد السلطات البريطانية في فلسطين وعلى بدء حملة إرهاب دفعت ببريطانيا في النهاية إلى ترك الانتداب وإحـالة مشكلة فلسطين على الأمم المتحدة .

يبدو ثابتاً أن الإرهاب اليهودي بعد الحرب لم يكن منظماً لدرجة عالية وحسب ولكنه كان منسقاً مع القيادة الصهيونية ، وذلك من حقائق الحوادث المذكورة ، كما عرفت ، ومن خلال البرهان الذي أورده كتاب بريطاني أبيض (ليس الكتـاب الأبيض لعام ١٩٣٩) ربطَ ما بين زعمـاء اليهودية الفلسطينية الصهاينة وبين الإرهابيين (٤٠) . غير أن زعماء الحركة الصهيونية ما فتئوا يصرون على أن ليس لهم علاقة بالإرهابيين ، وتنكروا لأعمال العنف التي يقترفها اليهود في فلسطين . وقد أعلن وايزمن

معارضته الإرهاب اليهودي . ولكن لدى المرء سبباً في أن يظن الظنون في موقفه الحقيقي من هذه المسألة في ضوء البرهان الذي يشير إلى شمول وايزمن في حوادث ٣١ تشرين الأول ، ١٩٤٥[٤١] .

كان الإرهاب الصهيوني ، في فترة ما بعد الحرب ، معنياً بدعم الهجرة اللاشرعية عنايته بالإرهاب . فعقب إعلان بيفن أن الهجرة إلى فلسطين ستحدد بـ ١٫٥٠٠ في الشهر ، أعلن الجهاز الصهيوني في فلسطين بكامله نيته في تشجيع الهجرة غير الشرعية على نطاق واسع . وصادقه على هذا الموقف الجمعية العمومية والمجلس الداخلي العام ، وتنفيذية الوكالة اليهودية جميعاً[٤٢] . وقد أكد هذا سياسة كانت ابتدئت في أثناء الحرب، ولكن التصديق على تلك السياسة عام ١٩٤٥ جعل من التنازع على الهجرة كفاحاً مراً تطلب حلاً .

كانت الاستراتيجية الصهيونية في مسألة الهجرة غير الشرعية بعد الحرب بعيدة عن التخبط . فقد كانت مخططة بعناية ومسيّرة بحذق . وكان وراء تدفق اليهود من أوربا إلى فلسطين العفوي في ظاهره شبكة من العملاء الصهاينة الذين لم يساعدوا على التشجيع على الهجرة وحسب[٤٣] ، ولكنهم سهلوها أيضاً . ويكشف تقرير لاستخبارات الجيش الأمريكي الثالث عن وجود منظمة صهيونية، سرية، في فترة ما بعد الحرب مباشرة، ترعى تهريب ٢٫٠٠٠ يهودي في الأسبوع إلى منطقة الاحتلال الأمريكي[٤٤] . وهؤلاء العملاء الصهيونيون الذين تتألف منهم

هذه المنظمة ، وبعضهم من اليهود الذين يخدمون في جيـــوش الحلفاء ، كانوا يرتبون أمر اليهود المهاجرين بحيث يقادون إلى شاطىء المتوسط عبر مسالك منظمة للهرب[٤٥] . وحين يصلون الشاطىء يركبون سفنـــاً يستأجرها الصهاينة ثم ينقلون الى فلسطين . وفي تقرير آخر للحكومة البريطانية أن هذا القطار السري كان يزود بالطعام وغيره من الضروريات بوساطة تحويل مواد ادارة الإغاثة والإسكان التابعة للأمم المتحدة[٤٦] .

أصر الصهاينة على أن تدفق اليهود من أوربا إلى فلسطين كان عفوياً تماماً وغير منظم . بيد أن هناك عدداً من العوامل تشير إلى أن هذا لم يكن واقعاً بالضبط . وأول هذه العوامل أن حقيقة مقاطعة الصهيونيين وعدم تشجيعهم لإعادة إسكان اللاجئين اليهود في «الشتات» دليل على خوفهم من أن أغلبية لاجئي أوربا اليهود قد لا يفضلون فلسطين على ملاجىء أخرى في العالم .

ثانياً ، إن معظم اللاجئين الذين يختارهم الصهاينة للترحيـل إلى فلسطين عن طريق السكة السرية كانوا رجالاً ونساءاً فتية يمكن أن يكون لهم دور فعال في مساعدة الكفاح الصهيوني من أجل إقامة الدولة[٤٧] . وهذا دليـــل آخر على أن متطلبات الحركة السياسية قدمت على الأمور الإنسانية ، بالرغم من أن هذه الجوانب الإنسانية قد أكد عليها أمام العالم . ثالثاً ، حـين كشف الفريق الثـــاني السير فردريك مورغان ، رئيس إدارة الإغاثة والإسكان التابعة للأمم المتحدة ، في ألمانيا ، في أوائل ١٩٤٦ ، عن تقرير الجيش الثالث حول التنظيم الصهيوني السري ،

عزله عن منصبه السير هربرت لـــيمان ، وهو مؤيد للصهيونية ومدير عام للإدارة ، وذلك بتهمة اللاسامية(٤٨) . بيد أنه وإن أعيد مورغان بعد ذلك إلى منصبه ، فإن هذا الحادث يدل على جدة الصهيونية في هذه المسألة ، ويدل أيضاً لا على احتمال وجود التنظيم السري وحسب ، ولكن على أن الصهاينة يقصدون إلى مواراته على الناس أيضاً، أولئك الذين كانوا يصورون لهم صورة مختلفة جداً لحركتهم والكيفية التي تعمل بها . رابعاً ، إن كون الهجرة اليهودية إلى فلسطين ظاهرة غير عفوية كلياً ، تدل عليه حقيقة أنه بمجرد مجابهة تدفق المهاجرين غير الشرعيين للمعارضة البريطانية ، فإن الصهاينة في إنكلترا بدأوا حملة لجمع ١٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني لتسهيل مرور اليهود الى فلسطين (٤٩) .

لذلك نقول في الختام ، إن ما لدينا من حجة تشير الى أن خروج اليهود من أوربا إلى فلسطين ، بعـــد الحرب ، أمر دبره الصهاينة بشكل رئيسي (٥٠) . فلم تقرر المنظمة الصهيونية رعاية الهجرة غير الشرعية وحسب ، ولكنها في الحقيقة حفزتهـــا ونظمتها وموّلتها . فتحقق سريعـــاً غرض الإعداد لإيجاد دولة وشيكة الحدوث تحت الأمر الواقع ، وغرض جعل الانتداب غير عملي . وحُسِمت المعركة النهائية في الأمم المتحدة بتأييـــد من الولايات المتحدة .

الأمم المتحدة والتقسيم

كانت حرب المناوشات الصهيونية على سلطات الانتـــداب منتصرة في النهاية . وذلـــك أن البريطانيين اعترفوا بفشلهم كانتداب في عام ١٩٤٧. وفي الثـــاني من نيسان في تلك السنة طلبت بريطانيـــا من الأمم المتحدة أن تدرج مسألة فلسطين في جدول أعمالها (٥١) . فلم يعد بإمكان بريطانيا أن تكافح أكثر من ذلك ظرفاً جعل منه الصهاينة في فترة ما بعـد الحرب أمراً لا يطاق . وهكذا نجح الصهاينة في وضع مشكلة فلسطين أمـام العالم بشكل فيه خيار : إما أن يستمر الانتداب وإما أن يمنح شعبا(*) فلسطين شكل استقلال مـا . وقد كانت هذه خطوة ذات شأن ، لأنها أثارت المسألة القومية في فلسطين ، التي لم تكن من قبل معروضة لكبير اعتبار. وكانت خطوة الصهاينة الأخرى الوحيدة ، وهذه المسألة على جدول أعمال الأمم المتحدة ، هي التأكد من أن الأمم المتحدة سوف تقر مبدأ الاستقلال لفلسطين ثم تصدق على إيجـــاد دولة يهودية في جميـع فلسطين أو في جزء منها .

لما أدرجت مسألة فلسطين في جدول أعمال الأمم المتحدة تكونت لجنة خاصة لتحقق في الموقف في فلسطين ولـــترفع توصياتها(٥٢) . فحققت توصية هذه اللجنة النهائية الحاجة الحيوية الثانية للسياسة الصهيونية في هـــذه اللحظة العصيبة من تاريخ

---

* – ترجمة لكلمة peoples .

الحركة : فلقد صودق على مبدأ الاستقلال . على أنه كان هناك خلاف حول طبيعة ذلك الاستقلال . فقد أيد سبعة من أعضاء اللجنة اقتراحاً بأن تمنح الأقلية اليهودية في فلسطين حكم البلاد ، بينما رأى ثلاثة آخرون أن الحكم يجب أن يتقاسمه العرب واليهود بالتساوي . ولم يكن لأحد الأعضاء رأي في المسألة على الإطلاق ، واقترح الأعضاء السبعة الباقون أن تقسم فلسطين إلى ثلاثة أجزاء ، تتألف من دولة عربية ودولة يهودية ومنطقة دولية في القدس .

بالرغم من صعوبة هذه الخطة عملياً، فقد رأى الصهاينة فيها بذور مطلبهم الدبلوماسي الثالث : الاعتراف بمبدأ الدولة اليهودية . فقبلوا ، لذلك ، فكرة التقسيم ، وانحصر كفاحهم في الأمم المتحدة في هذه المسألة . ومع أن الصهاينة خاب فألهم لأنهم لم يمنحوا جميع فلسطين ، فإنهم اعترفوا بأهمية تقليص تحقيق الأمم المتحدة في الوضع في فلسطين إلى جدال حول أن تقام أو لا تقام دولة يهودية في جزء من فلسطين على الأقل . ولم يُبق هذا سوى مهمة واحدة — التأكد من أن المنظمة العالمية ستصدق على التقسيم .

في ١١ تشرين الأول ١٩٤٧ أعلن وفد الولايات المتحدة في الأمم المتحدة تأييده الرسمي لخطة تقسيم فلسطين . وقد فعل ما فعل بأمر من الرئيس ترومان (٥٣) . وهكذا ، أثمرت الجهود العظمى التي بذلها الصهيونيون في محاولتهم للفوز بتأييد الرئيس فوائد أكثر . فكان أن كسب الصهاينة نصف المعركة بتأييد

الولايات المتحدة . وقد استطاع النفوذ الأمريكي أن يمن أكثر في التأثير على الأمم الأخرى للانضمام إلى المعسكر المؤيد للتقسيم .

وفي تشرين الثاني ، اكتشف وايزمن أن الوفد الأمريكي كان يقصد إلى جعل التقسيم أكثر قبولاً لدى المبعوثين العرب بعرض تضمين جنوب النقب في الدولة العربية في المشروع[٥٤] . فتقرب دبلوماسي الصهيونية المحنك من الرئيس في الحال ، وكنتيجة لمحادثتهما أمر ترومان الوفد الأمريكي أن يعكس عرضه جنوب النقب على العرب . ويقول وأيزمن في تأريخه لحياته : « إن هذا القرار فتح الطريق لتصويت الجمعية العمومية في ٢٩ تشرين الثاني[٥٥] ... » .

لقد فتح تعاون ترومان مع وايزمن حول مسألة النقب طريق التصويت في ٢٩ تشرين الثاني . ولكن الصهاينة مازالوا أمام مهمة ضمان ما يكفي من الأصوات للحصول على أغلبية الثلثين الضرورية لإقرار خطة التقسيم . ففي التصويت المبدأي الذي أجري في الثاني والعشرين والسادس والعشرين من تشرين الثاني ضمنت أصوات أقل من العدد المطلوب لتأييد التقسيم . وعند هذه الساعة الحيوية من تاريخ الصهيونية مضى جميع جهاز الحركة السياسي إلى العمل . فأصبحت هايتي وليبريا والفلبين والصين والحبشة واليونان ، وكلها كانت أظهرت معارضة للتقسيم ، غرضاً لأشد ضغط صهيوني[٥٦] . وقد أنزل جزء كبير من هذا الضغط بشكل غير مباشر بوسائل أمريكية .

فألح الصهاينة على رجال الكنغرس للاتصال مباشرة بحكومات البلدان المستهدفة الستة[٥٧] . واتصل هاتفياً بشركة فيرستون للإطارات والمطاط ، التي كان لها امتياز في ليبريا ، وألح عليها أن تقنع حكومة ليبريا أن تصوت في صالح التقسيم [٥٨]. وشهد وكيل وزارة الخارجية روبرت لوفت بأنه « ... لم يكن قط في حياته عرضة لمثل ما كان له من ضغط [في أثناء المراحل النهائية من التصويت [٥٩]] . . . » . وقد عانى لوي هندرسن، مدير مكتب وزارة الخارجية لشؤون الشرق الأوسط وأفريقيا ، تجربة مماثلة [٦٠] . وقد اجتذب هربرت سووب وروبرت ناثان ، من موظفي البيت الأبيض ، تأييد الرسميين القياديين[٦١]، وشارك أيضاً القاضيان فرانكفورتر ومورفي في الحملة الصهيونية باتصالهما بمبعوث الفلبين وحثهما إياه أن يدعم التقسيم [٦٢] .

ما هذه إلا بعض حوادث بارزة تدل على طابع المناورات الصهيونية في الأمم المتحدة . وحين حلت الساعة النهائية وافقت جميع الدول الست ، باستثناء اليونان ، على أن تصوت مع التقسيم أو أن تمتنع عن التصويت[٦٣] . وفي التاسع والعشرين من تشرين الثاني أقرت الجمعية العمومية تقسيم فلسطين .

بعد التصويت التاريخي في الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني تعرضت الوسائل التي استعملها الصهاينة لضمان النتيجة التي رغبوا فيها لنقد حاد[٦٤] . ويبقى هذا الموضوع مثار جدل اليوم . غير أن ضوءاً هاماً قد ألقاه السيد ترومان في مذكراته . ففي

رسالة إلى الرئيس مؤرخة في ٢٧ تشرين الثـــاني ١٩٤٧، أكد الدكتور وايزمن أن لا حجة للتهمة الشائعة آنئذٍ في واشنطن في أن الصهيونية أوقعت ضغطاً غير لائق على بعض وفود الأمم المتحدة (٦٥) . ويعلق السيد ترومان على هذا القول بما يلي :

« والحقيقة أنه لم تكن هناك حركات ضغط حول الأمم المتحدة ليست كمثل ما عرف من قبل وحسب ، ولكن أن البيت الأبيض أيضاً كان غرضاً لشحن دائم. ولا أظنني قط تعرضت لضغط ودعاية استهدفا البيت الأبيض كما تعرضت هذه اللحظة. ولقد أزعجني وأقلقني لحاح بعض الزعماء الصهاينة المتطرفين — مجسداً بحوافز سياسية ومرتبطاً بتهديدات سياسية . حتى أن بعضهم كان يقترح علينا أن نضغط على أمم ذات سيادة لتصوت في صالحهم في الجمعية العمومية(٦٦) » .

حين ووفق على التقسيم بقي على الصهاينة مهمة ضمان اعتراف بدولة إسرائيل . وكان اعتراف الولايات المتحدة هو الذي قصد إليه قبل أي شيء آخر . لذلك ، « فـإن الضغط اليهودي على البيت الأبيض لم يخف في الأيام التالية لتصويت التقسيم في الأمم المتحدة(٦٧) » . وحين اشتد هذا الضغط ، اضطر الرئيس أن يرفض الاستماع للممثلين الصهيونيين. غير أن الصهاينة ، بالرغم من تعليمات الرئيس ، نجحوا في الوصول إليه (٦٨) .

في آذار ١٩٤٨ ، أبـــدى وايزمن رغبته في رؤية الرئيس ترومان . على أنه ، حسب تعليمات ترومـان ، حرم وايزمن من

المقابلة . عندهـــا أتت إلى ترومان مكالمة من السيد إدي جاكوبسون ؛ وهو يهـــودي أمريكي وصديق للرئيس طوال حياته . وقد رجا جاكوبسون ترومان أن يستقبـــل وايزمن ، مفسراً ذلك بأن هذا الزعيم الصهيوني منه مثلما كان أندرو جاكسون من الرئيس ، في البطولة[٦٩] . ومع أن توقيت زيارة جاكوبسون وعلمه برفض الرئيس رؤية وايزمن تدل بوضوح على الإلحاح الصهيوني ، فإن ترومان ضعف أمام هذا الشكل الفريد من الضغط السياسي ووافق على أن يرى الدكتور وايزمن في الثامن عشر من آذار. ونتج عن هذه المقابلة توادّ خطير ما بين الرئيس والزعيم الصهيوني . وفي الرابـع عشر من أيار بعث ترومان باعترافه بإسرائيل كأمر واقع ، وذلك بعد إحدى عشرة دقيقة فقط من إعلان قيام الدولة[٧٠].

من تقاليد الولايات المتحدة أن تكون حـــذرة في اعترافها بالحكومات الجديدة ، لذلك فإن الخروج على التقليد الأمريكي المتبـع في حالة الاعتراف بإسرائيل من شأنه أن يظهر النجـاح العظيم الذي سيّر به الصهاينة عملياتهم في الولايات المتحـــدة . وقد مهّد عمـــل الرئيس الطريق لقبول دولة إسرائيل دولياً . وأصبح جيمس. ج. مكدونالد ، الذي يعتبر ارتباطه بالصهاينة حقيقة واقعة [٧١] ، أول سفير إلى الأمة الجديدة . لقـد تحقق هدف الصهيونية ، ولكنه تحقق جزئياً فقط . وانتهت المرحلة الثالثة بخلق إسرائيل ، ولكن رابعة قد بقيت بعد .

خاتمة

المهمّة الباقية للصهيونية السّياسيّة

ثمة اليوم فكره سائدة هي أن الحركة الصهيونية قد توصلت إلى تحققها النهائي في خلق دولة اسرائيـــل . بيد أن الحقيقة الواقعة ليست كذلك، لأن أهداف الصهيونية السياسية لم تتحقق إلا جزئياً .

كان هدف الصهيونية في أصله أن تصل إلى حل لمشكـــلة اللاسامية بوساطة إنشاء مركز قومي للشعب اليهودي . فجـاء الصهاينة لمشكلة العصبية الدينية بحل قومي . وأضـــافوا لهذا المبدأ الأساسي وصفاً محدداً الأمة . وكان على هذه أن تتحـدد بحدود فلسطين للتاريخية . ومـــا كانوا بهذا ليعنوا فلسطين وحدها ، تلك التي كانت منطقة انتداب بريطاني ، ولكنهم إلى تلك عنوا شرقي الأردن ولبنان الجنوبي وجبل الشيخ . وهناك دليل قوي أيضاً على أن الصهاينة اهتموا منذ ١٩١٧ بامتـــلاك

حوران في سوريا الجنوبية [١] .

لم يتحقق في الوقت الحاضر أي من الشرطين المذكورين أعلاه وذلك أن أغلبية يهود العالم العظمى اليوم ليس لها مركز قومي ، وأن دولة إسرائيل لا تشمل المساحة التي يشير اليها الصهاينة كفلسطين « التاريخية » ، ولا حتى بالتقريب . لذلك فإن اسرائيل لا تمثل غير دولة يهودية تجريبية . فقد فشلت في وضع حق أغلبية [٢] يهود العالم ضمن حدود المركز القومي اليهودي ، وسيطرت على أقل من نصف فلسطين « التاريخية » ، أو إرتز إزراييل (أرض إسرائيل) .

على أن هذا لا يعني أن الحركة الصهيونية قانعة بهذا التحقق النصفي لهدفها التقليدي . بل على العكس ، فإن هذا الهدف يرافق الحركة ، وما فتىء الصهاينة يبحثون عن تحققه الكلي . وإنه لهذا السبب استمر وجود الصهيونية ولم تأت الى انحلالها الطبيعي بايجاد إسرائيل . ولم تزل هناك مهمة للإتمام . وهذه ذات شقين. أولاً «التجميع»، أو تصفية «يهود الشتات»، وما يزال بحاجة للإتمام ، لأن الصهيونية ستبقى غير متحققة جوهرياً وسيبقى غرضها الأساسي مكبوتاً حتى تأتي إلى فلسطين أغلبية ذات وزن من يهود العالم وتقبل الجنسية الإسرائيلية . ثانياً أن الصهيونية مواجهة بمهمة منح الدولة الإسرائيلية حدود إرتز إزراييل ، لا لأسباب خيالية وحسب ، ولكن لإعطاء الدولة ما تحتاجه من قوة اقتصادية ولتهيئة مكان لإعادة توطين اليهود النازحين عن « أرض الشتات » .

بالإضافة إلى هاتين المهمتين يجب على الصهيونيـــة السياسية أيضاً أن تتخذ الخطوات الضرورية لتضمن استمرار وجود دولة إسرائيل . لهذا بحث الصهاينة عن الدعم الاقتصادي والسياسي من « الأمم الأخرى » ومن اليهود في « الشتات » . فإذا نظرنا ، الى المهمة الحاضرة الآن ، مواجهين الصهيونية السياسية في إطار تاريخي ، فاننا واجدون أن أهداف الحركة الأساسية ومتطلبات سياستها ليست مختلفة مادياً عما كانته في أيام هرتسل . فنقاط البرنامج الثلاث تبقى ملازمة للحركة : فما زالت هناك حاجـة جوهرية للتركيز على بناء الأمة ، واستقطاب دعم اليهوديـــة العالمية وولائها ، وطلب مساعدة « الأمم الأخرى ». فلنتفحص كلاً من مجالات التركيز هذه في مكانها الطبيعي .

ليست مطامح الصهيونيـــة في التوسع الإقليمي ضرباً من التخمين : فطوال تاريخ الحركة كانت هذه المطامح مكشوفـة بوضوح ومن غير خطأ . وقد كانت مذكرة المنظمة الصهيونية الى المجلس الأعلى في مؤتمر السلم في باريس عام ١٩١٩ اقترحت شمل شرق الأردن بفلسطين وإضافـة جبل الشيخ ولبنان الجنوبي أيضاً إلى فلسطين [٣] . وكان الهدف وراء هذا الاقتراح جعل وعد بلفور ينطبق على هذه المناطق ، لفتحها أمام الهجرة اليهودية ، وهو شرط ما قصده الصهـــاينة لو اعتبروها خارج حدود إرتز ازرائيل . وحين استثنى كتاب تشرشل الأبيض لعـــام ١٩٢٢ شرق الأردن من فلسطين بشكل محدد اعتبر الصهـاينة الأمر خسارة خطيرة لقضيتهم . ويعلق وايزمان

في تأريخه حياته قائلاً : « لقد اعتبرنا كتاب تشرشل الأبيض مسخاً خطيراً لتصريح بلفور ، فقد انتزع شرق الأردن من منطقة العمل الصهيوني ... »[٤] وقد كشف وايزمن عن اهتمام الصهيونية بلبنان الجنوبي حين بحث عن اتفـــاق فرنسي يشمل هذه المنطقة ضمن حدود فلسطـين ، وذلك في وقت مبكر من عام ١٩٢٠ [٥] .

منذ إنشاء اسرائيل والصهاينة أكثر حرصاً على ستر مطامحهم في التوسع الإقليمي في مداه الكامل . ومع هذا ، فان الصراحة في المسألة ، من فرصة لأخرى ، تدل على أن إنشاء إسرائيـل أكبر يبقى غرض الحركة الأولي . ففي مقدمة كتاب **الحكومة السنوي** لدولة اسرائيل لعام ١٩٥٢ يقول السيد بن غوريون : « ويجب أن نقول الآن إنها [أي دولة اسرائيل] قد أقيمت في جزء فقط من أرض اسرائيل . »[٦] ويردد كتاب **الحكومة السنوي** لعام ١٩٥٥ هذا الرأي : « إن خلق الدولـة الجديدة لا يحد في شيء أفق إرتز ازراييل التاريخية [٧] . » والأحزاب الأكثر تطرفاً أشد تصلبـــاً في موضوع التوسع . فالحيروت والأحدوت هاعفورا – بوعالي زيون كلاهما ملتزمان بسياسة التوسع فيما يتعلق بانشاء إرتز ازراييل[٨] . ومن المحتمل أيضاً أن حزب الصهيونيين العموميين يدعم مثـــل هذه السياسة بالقرينة ، وذلك أن برنامجه يؤكد على « أن دولة اسرائيـــل لا تعيش لنفسها ولكن كأداة لتحقيق المثـــال الصهيوني . » وهكذا نستطيع أن نتبين بجلاء استمرار الفكرة الأصليـة .

وإذا نظرنا إلى المستقبل من خلال فهم الماضي فقـــد نتوقع أن نرى أن هذه السياسة تقود دبلوماسية الحركة ومقصدها الأول ، دولة إسرائيل . وإنه لصحيح أن هنـــاك أحزاباً اسرائيلية كثيرة لا تؤيـــد التوسع ، ومؤكد أن كثيراً من المواطنين لا يتوخون إسرائيل أكبر . غير أنه من الصعب دعم النظريـة القائلة إن الصهيونية غيرت أغراضها حين غدا استمرار أهداف الحركة في ظل توجيه قيادة ثابتة أمراً بيناً في التـاريخ . أضف إلى ذلك أن تجميع اليهـــود في « الشتات » ، الأمر الذي يلقى تأييداً واسعاً في الأوساط الصهيونية بزعامة بن غوريون ، يوصي بسياسة توسع خفية . لأنـــه بالرغم من أن بعضهم يصر على أن دولة إسرائيل تستطيع أن تمتص عدداً أكبر فإن قليلاً من يدعى أن بضعة ملايين تستطيع تدبر أمرها في إسرائيل ليست أكبر من الدولة الحاضرة .

لعل المهمة الرئيسية التي تواجه الصهيونية حالياً هي توسيع مدى المركز القومي اليهودي . فإن لم يأت مرور الوقت بعدد ذي وزن من اليهود إلى إسرائيل فان الحركة سوف تبدأ تفقـد حيويتها . فالصهيونية السياسية تعتمد حجة أن الحل الأوحـد لمشكلة اللاسامية هو القوميـــة اليهودية . وهذه هي فكرتها الجوهرية ومبررها النهائي . على انه لو اختار يهود العـــالم أن يبقوا في « الشتات » فان حجة الصهيونية بكاملها ستفقد صحتها وستبقى إسرائيل مجرد تجربة . وهذا هو السبب الرئيسي في أن الصهاينـة ، وبالذات من هم في إسرائيل يؤكدون التجميع على

كل مهمة يواجهونها . ويقول بن غوريون إن التجميع هو المبرر الجوهري لإقامة إسرائيل ووجودهـــا [٩] . ويعتمد برنامج القدس ، الذي وضع عام ١٩٥١ ليحـــل محل برنامج بال ، على مبادىء ثلاثة ، اثنين منها يتعلقان مباشرة بعلاقـــة يهود العالم باسرائيل [١٠] . وينادي المبدأ الأول بـ « استمراريـــة الشعب اليهودي ووحدته » ، بينما يرى الثاني «تجميع التيه في اسرائيل .»

تعكس هذه السياسات الطريقتين الجاريتين اللتين يحـــاول الصهاينة بهما معالجة مشكلة « يهود الشتات » الراغبين في المساعدة لا المستعدين لأن يصبحوا جزءاً من دولة الصهيونية التجريبية . والهدف الحقيقي مضمّن في المبدأ الثاني ، غير أنه لما كان « يهود الشتات » لا مبـــالين في استجابتهم لداعي الهجرة فقـــد قصد الصهاينة متحمسين إلى بناء شعور من الارتباط باسرائيل في أذهان اليهود في العالم . وقـــد أظهر الصهاينة ، مرة أخرى ، رغبتهم في تبني سياسة التدرج ، التي تزعمهـــا وايزمن دائماً . وانعكس استطلاع مشكلة التجميع في مقالة ظهرت في صحيفة **زيونست رفيو** عـــام ١٩٥١ ، في هذه الكلمات : « يجب على الحركة الصهيونية أن تستمر في التوجـــه إلى تصفية « يهود الشتات » ويجب أن تعد الشعب اليهودي لهذه العملية ، خطوة خطوة [١١] . » وقد أجمل السيد بن غوريون بوضوح طبيعة هذه المهمة الباقيـــة للصهيونية السياسية في مقالة ظهرت في صحيفة **جروزالم بوست** صيف عام ١٩٥١ [١٢] . ويذكر الصهـــاينة أول الأمر بأن « الصهيونية لما تتحقق بعد .... والأمة اليهودية لما تجمع داخل

إسرائيل بعد .... » ويمضي بعد ذلك ليشير عليهم بأربعة واجبات الصهيوني الرئيسية . أولها تحقيق التجميع ، في حين أن الثلاثة التالية متعلقة بدعم دولة إسرائيل وصونها كما توجد اليوم . والصهاينة في « الشتات » غير ملزمين بمساعدة دولة اسرائيل . « ... سواء أرغبت في ذلك الحكومة التي يعطيها اليهود المعنيون ولاءهم أم لم ترغب . » وحل هذه «الازدواجية»[١٣] الضرورية ، لأنه « .. لا يمكن أن تكون هناك صهيونية بدون الفكرة الأساسية لكيان أمة واحدة » ، يكمن في إثارة ربط اليهود بالقومية اليهودية بوساطة إحياء اللغة العبرية ، لسان اسرائيل الرسمي . والخطوة التالية بالنسبة للصهاينة هي رعاية الحركة « الهالوتزية » أي تشجيع الهجرة الى اسرائيل . ويلخص بن غوريون هذه المهام بالكلمات الآتية :

« مساعدة غير مشروطة لدولة اسرائيل ، وتثقيف عبري إجباري ، ورعاية للحركة الهالتزية — هذه ، برأيي هي الشروط الحيوية الثلاثة لوجود الحركة الصهيونية ، وبتحققها يعرف الم ء كصهيوني .... »

تتألف هذه المعادلة ، لذلك ، من جزئين أساسيين : إيجاد شعور من الارتباط بالواجب نحو الدولة اليهودية ، وهجرة اليهود إلى تلك الدولة . والأول يسبق الثاني وهو السبيل إلى تحققه . ويعبر الصهيونيون العموميون عنها بشكل رائع قائلين: « لا توجد دولة اسرائيل لذاتها ، ولكن كوسيلة لتجسيد المثال الصهيوني » .[١٤] ولب ذلك المثال هو فرض القومية اليهودية

على اليهـــود في كل مكان ، فيكون التجميـــع ، لذلك ، أول المهمات التي تواجـه الصهيونـــية السياسية اليـــوم وفي طليعتها (١٥) .

مهمة الصهيونية السياسية النهائية هي المحـــافظة على العون الاقتصادي والسياسي لدولة اسرائيل من لدن «الأمم الأخرى». ويتركز تحقيق هذه المهمة بشكل رئيسي في الولايات المتحـدة أقوى دولة في العالم الغربي وأيسرها اقتصادياً . وليس ضرورياً أن نحلل هذه المهمة بالتفصيل ، ولكنه جدير بالملاحظـــة أن الولايات المتحدة ذات دور أساسي في مجابهة العجز التجـــاري الضخم الذي تسببه اسرائيل سنوياً، أضف الى ذلك أن اسرائيل تؤمن ضمانة ذات اعتبار من تعهد « الأمم الأخرى » أن تحافظ على استقلال الدولة اليهودية وسيادتهـــا . والمحافظة على هذا العون الاقتصادي والسياسي واحدة من مهمات الحركة المستمرة . ومن مهمات الحركة الصهيونية الأربع عشرة الملحقة ببرنامج القدس لعام ١٩٥١ ، اثنتان متعلقتان باستقطاب دعم «الأمم الأخرى». فالصهاينة ملزمون بالمشاركة في « تحريك الأموال » وفي « تنظيم الدعاية والمساعدة السياسية لإسرائيل بالتعـــاون وبالتنسيق مع الدولة » (١٦)

واليوم يمكن لنا أن نعود وننظر إلى سني الدبلومـــاسية الصهيونية الستين . ففي عام ١٨٩٧ أعلن ثيودور هرتسل هدف الحركة وأجمل برنامج النقـــاط الثلاث لتحقيق ذلك الهدف . وحتى بعد ستين سنة بقي الهدف والسياسات الأساسيـــة هي

عينها جوهرياً . وقد عملت الحركة ، منذ يوم هرتسل ، بشكل منهجي ومثابر للتوصل إلى تحقيق غرضها . وأظهر قادتها مرونة فائقـــة في طلب المكاسب الجديدة في السنوات السمان ، وفي الانتظار بصبر في السنوات العجاف . وقطعوا ، بهذه الطريقة ، أشواطاً نحو تحقيق نهـائي لغرضهم الخفي . وبالأسلوب نفسه اليوم تنفذ مهمتهم الدبلوماسية . ونتساءل لذلك إن كانوا يؤمون شطر نجاح وتحقق نهائيين . فثمة عامـلان يعتمد عليهما مصير الحركة . أولهما يتعلق بحجـــة الصهيونية السياسية الأساسية : ألا وهي أن القوميـــة اليهودية هي الحل الأوحد للمشكلة اليهودية . فإن قرر اليهود في « الشتات » أن هناك حلاً للمشكلة اليهودية في « الشتات » ، فسوف تفشل الصهيونية ، لان غرضها سيصبح غير قابل للوصول . وإن نجح اليهود في « الشتات » حقيقة في حل المشكلة اليهودية في « الشتات » فسوف يثبت أن الصهيونية غير صحيحة .

والعامل الآخر الذي يعتمد عليه مستقبل الصهيونية متعلق بمنهجية الحركة ، وهي الوسيلة التي حققت بهـــا غاياتها . ففي الستين سنة الماضية ، كان الصهـاينة ميالين إلى التوسل بأيـة وسيلة تقريباً لتحقيق غاياتهم . ولا بد لنا ، توخياً للحق ، من أن نقر بأنهم لم يكونوا أول من ارتأى هذا الرأي ولا آخر من فعل . فإن هذا هوى إنساني ، لا سيما في الحركات ذات الطابع الوطني الحماسي . بيد ان الصهاينـة حينما زرعوا دولتهم وسط شعب آخر ، من غير الحصول على إذن ذلك الشعب وتعاونـه

اولاً ، تجشموا مزالق تفجير معارضة معادية . واليوم ، يقاسي الإسرائيليون من هذه الحالة ، فهنالك دائماً امكانية أن تجعل هذه المعارضة المعادية التي ولدتها المنهجية الصهيونية من مركز إسرائيل في الشرق الأوسط يوماً ما مركزاً غير منيع .

والوقت وحده يستطيع أن ينبئنا بالدور الذي ستمثلـــه هذه العوامل المتغيرة في مستقبل إسرائيل .

هوامش

«آثرنا أن نترك المراجع بلغتها الأصلية تسهيلا للرجوع اليها»

الفصل الأول

1 — Israel Cohen, A Short History of Zionism (London: Frederick Mulleh, Ltd., 1951), pp. 13-27.

2 — Christopher Sykes, Two Studies in Virtue (New York: Alfred A. Knopf, 1953), pp. 110-113.

3 — Ibid., p. 124.

4 — Ibid., pp 113-114 ; See also Nahum Goldmann, The Genius of Herzl and Zionism Today (Jerusalem : Zionist Executive. 1955), p 19.

5 — Sykes, op. cit., p. 128.

6— James William Parkes, A History of Palestine from 135 A.D. to Modern Times (London: Victor Gollancz, Ltd., 1949), p. 167.

7 — Trial and Error, the Autobiography of Chaim Weizmann (New York: Harper and Bro-

thers, 1949), p. 4.

8 — Joseph M. N. Jeffries, Palestine: the Reality (London: Longmans, Green and Co., 1939), p. 36.

9 — Fannie Fern Andrews, The Holy Land under Mandate (Cambridge, Mass. : Houghton Mifflin Co., 1931), 1, 303.

10 — Parkes, op. cit., p. 267.

11 — Ibid:, p. 268.

12 — Cohen, op. cit., p: 33:

13 — Andrews, op. cit., I, 301.

14 — Cohen, op. cit., pp. 35-36:

15 — Andrews, op. cit., I, 309:

16 — Theodor Herzl, The Jewish State, an Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question, translated by Sylvie D'Avigdor (New York: Scopus Publishing Co., 1943).

17 — Andrews, op. cit:, I, 311.

18 — The ESCO Foundation for Palestine, a Study of Jewish, Arab and British Policies (New Haven: Yale University Press, 1947). I, 39.

19 — Ibid, I. 40. 6OTOr

20 — Ibid.

21 — See Below, p. 107.

22 — Jacob C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, a Documentary Record (Princeton, N. J. : D. Van Nostrand Co., Inc., 1956), I (1935-1914), 209.

23 — Ibid.

24 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 41.

25 — Ibid., I, 42.

26 — Ibid., I, 43.

27 — Ibid.

28 — Ibid., I, 44.

29 — Nahum Sokolow, History of Zionism, 1600-1918 (London : Longmans, Green and Co., 1919), I, 295. However, the Zionist profession of an identity of interests with the democracies must be tempered by the realization that Zionist diplomats were actively seeking an agreement with the Germans up to the eve of World War I. See Nevill Harbour, Palestine: Star or Crescent (New York: Odyssey Press, 1947), pp. 51-16.

30 — Sokolow, op. cit., I, 296.

31 — Ibid., I, 296-297.

32 — Andrews, op. cit., I, 316.

33 — Ibid.

34 — Jeffries, op. cit., p. 38.

34 — Andrews, op. cit., I, 321. 78,000 to 88,000 Jews were alredy there.

36 — Trial and Error, p. 93.

الفصل الثاني

1 — Sokolow, op. cit., II, 44. English money had financed most Zionist projects.

2 — Sykes, op. cit., p. 161.

3 — Meyer, W. Weisgal (ed.), Chaim Weizmann, Statesman, Scientist, and Builder of the Jewish Commonwealth (New York: Dial Press, 1944), p. 131.

4 — Trial and Error, pp. 121-122.

5 — Ibid., p. 122.

6 — Weisgal, op. cit., p. 297.

7 — M. F. Abcarius, Palestine through the Fog of Propaganda (London: Hutchinson and Co., N. D.), p. 44.

8 — Sokolow, op. cit., II, 48.

9 — Jeffries, op. cit., p. 92.

10 — Arnold J. Toynbee, A Study of History (London: Oxford University Press, 1954), VIII, 308 .

11 — Ibid., VIII, 308, footnote.

12 — Sykes, op. cit., pp. 149-152.

13 — Albertus Pieters, The Seed of Abraham, a Biblical Study of Israel, the Church, and the Jew (Grand Rapids, Michigan: Eerdmans Publishing Co., 1950), pp. 132-148. See also, Bishop Lesslie Newbigin, The Household of God (New York: Friendship Press, 1954), pp. 38-46.

14 — Trial and Error, p. 149.

15 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 80.

16 — Jeffries, op. cit., p. 93.

17 — Ibid., p. 95.

18 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 81.

19 — Trial and Error, pp. 157-158.

20 — Ibid., p. 162. Sidebotham was interested in Zionism from the British strategic point of view.

21 — Jeffries, op. cit., p. 98.

22 — Andrews, op. cit., I, 330.

23 — George Antonius, The Arab Awakening, the Story of the Arab National Movement (London: Hamish Hamilton, 1945), p. 162; also The ESCO Foundation, op. cit., I, 81.

24 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 79.

25 — Cohen, op. cit., pp. 70-71.
26 — Jeffries, op. cit., p. 98.
27 — Ibid., p. 99.
28 — Ibid.
29 — See text of the memorandum in The ESCO Foundation, op. cit., I, 84.
30 — Sykes, op. cit., p. 176.
31 — Ibid., p. 178.
32 — Ibid.
33 — Ibid., pp. 178-179.
34 — Trial and Error, p. 185.
35 — Sykes, op. cit., pp. 181-183.
36 — Ibid., pp. 187-188.
37 — Andrews, op. cit., I, 330; also, The ESCO Foundation, op. cit., I, 87-89.
38 — Full Account of the meeting in The ESCO Foundation, op. cit., I, 90-94.
39 — Antonius, op. cit., p. 263.
40 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 92-93.
41 — Ibid., I, 94.
42 — Jeffries, op. cit., p. 196.
43 — Sykes, op. cit., p. 196.
44 — Ibid., pp. 198-199.
46 — Ibid., pp. 200-201.
45 — Ibid., pp. 199-200.
47 — See text in Sokolow, op. cit., II, 53.
48 — Sykes, op. cit., p. 211.
49 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 98.
50 — See text in Sykes, op. cit., pp. 236-240.
51 — Trial and Error, p. 179.
52 — See text in Hurewitz, op. cit., II (1914-1956), 26.

53 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 105.

54 — See Text in Hurewitz, op. cit., II, 26.

55 — This Jewish concern with the duplicity of national status implied by Zionism has remained an important issue in Jewish circles since this time.

56 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 113.

57 — Sir Charles Webster, «The Art and Practice of Diplomacy,» **The Listener, February 28,** 1952, p. 335.

الفصل الثالث

1 — Andrews, op. cit., I, 341-342.

2 — See text in Hurewitz, op. cit., II, 45-50; see also Trial and Error, pp. 243-244. M. Sylvain Levi, a non-Zionist member of the Zionist Commission, embarrassed the Zionists by reminding the Supreme Council that Zionism implied a threat to to the Arab majority of Palestine and a compromise of Jewish national status in the Diaspora.

It should also be noted that Congressman Julius Kahn handed to President Wilson on March 4, 1919, a statement signed by prominent American Jews, which voiced opposition to the creation of a Jewish state in Palestine. See text in Morris Jastrow, Jr. Zionism and the Future of Palestine, the Fallacies and Dangers of Political Zionism (New York: The Macmillan Company, 1919), pp. 151-159. The statement asserted the belief that the premises contained within it were

supported by the majority of American Jews.

3 — Andrews, op. cit., I, 355.

4 — See text in Raymond P. Stearns, Pageant of Europe: Sources and Selections from the Renaissance to the Present Day (New York: Harcourt, Brace and Co., Inc., 1947), pp. 748-749.

5 — David Hunter Miller was a member of the British delegation. His published diary of the Peace Conference remains a classic.

6 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 164-168.

7 — Ibid, I, 169.

8 — Ibid., I, 170-171.

9 — See text in Hurewitz, op. cit., II, 84.

10 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 172.

11 — Milner was a pro-Zionist Cabinet minister.

12 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 173-174.

13 — Ibid, I, 98-99.

14 — See text in Hurewitz, op. cit., II, 106-111.

15 — Harold W. V. Temperley (ed.), A History of the Peace Conference of Paris (London: Henry Frowde and Hodder and Stoughton, 1924), VI, 176. Temperley is the outstanding historian of the Peace Conference.

16 — Trial and Error, p. 212.

17 — Philip Graves, Palestine, the Land of Three Faiths (London : Jonathan Cape, 1923), p. 163.

18 — Ibid, p. 165.

19 — General Bols, the Chief Administrator of Palestine, asserted : «They (the Zionist Commission) seek, not justice from the military occupant, but that in every question in which a Jew is interested discrimination in his favor shall be shown.» Quoted in Barbour, op. cit., p. 109.

20 — Graves, op. cit., p. 167.

21 — Trial and Error, p. 275.

22 — Jeffries, op. cit., p. 371.

23 — The fact that the Zionists did fail to face the Arab problem is borne out by the self-contradictory attitude of Weizmann toward the Arabs. In one breath he would defiantly announce to the Arabs that the Zionists were migrating to Palestine as of right, or that the settlement work of the Jews was the road that led to Jewish state-hood. In the other, he would deny that Zionists even entertained the idea of buil ding Palestine at the expense of others. See Weisgal, op. cit., pp. 55-56, 59.

24 — Andrews, op. cit., I, 314.

25 — Jeffries, op. cit., p. 42..

26 — Moshe Perlmann, «Chapters of Arab-Jewish Diplomacy, 1918-1922,» Jewish Social Studies, VI (April, 1944), 124.

27 — Ibid.

28 — See above, p. 7.

29 — Antonius, op.cit., p. 259.

30 — Graves, op. cit., p. 251.

31 — John De Vere Loder, The Truth about Mesopotamia, Palestine and Syria (London : George Allen and Unwin, 1923), pp. 125-126.

32 — The Sherif of Mecca, Hussein al-Hashimi, was the titular leader of the Arab Revolt in World War I.

33 — Antonius, op. cit., p. 268.

34 — Perlmann, op. cit., p. 130.

35 — Emir Feisal was the son of the Sherif of Mecca and the military leader of the Arab Revolt.

36 — See text in Antonius, op. cit.. pp. 437-439.

37 — See text in Antonius, op. cit., pp. 433-436.

38 — Perlmann, op. cit., pp. 139-141.

39 — Ibid., p. 133.

40 — Temperley, op. cit., VI, 177.

41 — Ibid.

42 — Toynbee, op. cit., VIII, 306.

43 — See text in Hurewitz, op. cit., II, 104.

44 — Even Lord Grey, who had supported Zionism when he was Foreign Secretary. asserted in 1923 that the Balfour Declaration was self-contradictory and implied a threat to Arab interests. See Barbour, op. cit., pp. 122-123.

45 — Toynbee, op. cit., VIII, 306.

46 — Trial and Error, p. 280.

47 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 176.

48 — Trial and Error, p. 284.

49 — Ibid., pp. 284, 287.

53 — Ibid., p. 289.

51 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 176.

52 — Trial and Error, p. 289. ——

53 — Ibid.

54 — See «The Zionist Organization's Memorandum to the Supreme Council at the Peace Conference,» in Hurewitz, op. cit., II, 45-50.

»5 — Trial and Error, p. 290.

56 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 270-272.

57 — Trial and Error, pp. 289-290.

58 — Ibid, p. 290.

59 — See text in Hurewitz, op. cit., II, 103-106.

60 — Trial and Error, pp. 290-291.

61 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 287.

62 — See text in Hurewitz, op. cit., II, 106-111.

63 — Trial and Error, p. 294.

64 — Weisgal, op. cit., p. 57.

65 — Trial and Error, p. 280.

الفصل الرابع

1 — Israel Cohen, The Zionist Movement (London : Frederick Muller, Ltd., 1945), pp. 123-125. Zionist Conferences should be differentiated from the Congresses. They were convened in years when no Congress was assembled.

2 — Cohen, A Short History of Zionism, p. 85.

3 — Cohen, The Zionist Movement, p. 125.

4 — Ibid., pp. 125-126.

5 — Ibid., p. 126.

6 — Ibid., pp. 127-132.

7 — Cohen, A Short History of Zionism, p. 48.

8 — Cohen, The Zionist Movement, p. 131.

9 — Antonius, op. cit., pp. 387-389. The Arabs

had no such voice with the Permanent Mandates Commission in Geneva.

10 — The Jewish community in Palestine was represented by a Constituent Assembly (Asefath Hanivharim) which elected a National Council (Vaad Leumi). A Rabbinical Council was also established.

11 — Trial and Error, p. 295.

12 — Hurewitz, op. cit., II, 107-108.

13 — Cohen, The Zionist Movement, p. 170.

14 — Trial and Error, pp. 305-306.

15 — Cohen, A Short History of Zionism, p. 124.

16 — Trial and Error, p. 306. Cohen, A Short History of Zionism, pp. 87-88.

17 — Trial and Error, p. 307.

18 — Cohen, The Zionist Movement, p. 170.

19 — Cohen, A Short History of Zionism, p. 125.

19 — Cohen, A Short History of Zionism, p. 125.

20 — Ibid.

21 — Frederick H.Kisch,Palestine Diary (London: Victor Gollancz, Ltd., 1938), p. 238.

22 — Trial and Erro, p. 307.

23 — Ibid, pp. 308-309.

24 — Ibid, pp. 309-311.

26 — Cohen, A Short History of Zionism, p.

27 — Ibid., pp. 126-127.

28 — Trial and Error, p. 314.

29 — Cohen, A Short History of Zionism, p. 127. Also, the membership of the Agency was to

be selected by the Z. O. See Parkes, op. cit., p. 307.

30 — Trial and Error, pp. 313-314.

الفصل الخامس

1 — The ESCO Foundation, op. cit., I, 288.

2 — Trial and Error, p. 326.

3 — Ibid.

4 — Cohen, A Short History of Zionism, p. 254.

5 — The EESO Foundation, op. cit., I, 318.

6 — Ibid, I, 317.

7 — Ibid, I, 316.

8 — Andrews, op. cit., II, 26.

9 — Trial and Error, p. 300.

10 — Ibid., p. 301.

11 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 624.

12 — Ibid., II, 625.

13 — Triai and Error, p. 332.

14 — Cohen, A Short History of Zionism, p. 131.

15 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 645.

16 — Ibid., II, 648.

17 — Trial and Error, p. 333.

18 — Ibid., also, Cohen, A Short History of Zionism, p. 132.

19 — Trial and Error, p. 334.

20 — Ibid.

21 — Ibid.

22 — Barnet Litvinoff, Ben-Gurion of Israel (London: Weidenfeld and Nicolson, 1954), p. 102.

23 — Cohen, A Short History of Zionism, p.

102.

24 — Trial and Error, p. 335.

25 — Ibid.

26 — Cohen, A Short History of Zionism, p. 255.

27 — Parkes, op. cit., p. 322.

28 — Ibid.

29 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 783.

30 — Parkes, op. cit., p. 323.

31 — Ibid.

32 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 820.

33 — Ibid., II, 859-860.

34 — George Lenczowski, The Middle East in World Affairs (Ithaca, N.Y. : Cornell University Press, 1953), p. 270.

35 — Trial and Error, p. 386.

36 — Parkes, op. cit., pp. 328-330.

37 — Lenczowski, op. cit., p. 269.

38 — Ibid., pp. 271-272.

الفصل السادس

1 — Kirk, op cit., p. 13.

2 — The ESCO Foundation, op. cit.. II, 1080. The revised position was first formulated, according to this source, by the Palestine Zionist Executive in Jerusalem.

3 Kirk, op. cit., p. 232.

5 — Trial and Error, pp. 418-419.

6 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1079-1080.

7 — Chaim Weizmann, «Palestine's Role in

the Solution of the Jewish Problem» Foreign Affairs, January, 1942, pp. 324-338.

8 — Kirk, op. cit., p. 234.

9 — Ibid., p. 307.

10 — Ibid., p. 233.

11 — Ibid.

12 — Ibid., p. 242.

13 — Ibid., On page 243, Kirk also notes that Nahum Goldmann went a step further by defining the territory of Jewish national interest as including Transjordan.

14 — Ibid., p. 243, footnote.

15 — Hurewitz, op. cit., II, 234; George E. Kirk, A Short History of the Middle East (London: Methuen, 1952) p. 204. The Emergency Committee was formed in America to serve as the wartime headquarters of the Zionist Organization.

16 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1080-1083.

17 — It should be noted here that on the eve of the war. the Agency was converted into a Zionist body; see Jacob C. Hurewitz, The Struggle for Palestine (New York: W. W. Nùrton and Co., 1950), p. 157.

18 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1082.

19 — Ibid., II, 1083.

20 — See text in Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, II, 234-235.

21 — This assertion was made in spite of the fact that the Churchill White Paper of 1922 denied that the purpose of the Balfour Declaration

was to make Palestine «as Jewish as England is English» or that the development of the Jewish National Home meant the imposition of Jewish nationality upon the inhabitants of Palestine as a whole.

22 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1087.

23 — This refers to the Inner General Council. See below p. 64.

24 — Ibid.

25 — See Kermit Roosevelt, «The Partition of Palestine: a Lesson in Pressure Politics,» Middle East Journal, January, 1948, p. 4: The Biltmore Program had been endorsed by the General Council in 1942 in spite of opposition among Jews in the United States and Palestine.

26 — See text of Resolutions of the World Zionist Conference, August, 1945, in Documents Relating to the Palestine Problem (London: The Jewish Agency for Palestine, 1945), pp. 99-96. These resolutions were endorsed by the twenty-second Zionist Congress in December, 1946.

27 — Roosevelt, op. cit., p. 3.

28 — Ibid., p. 4.

29 — Lenczowski, op. cit., p. 274.

30 — Tke ESCO Foundation, op. cit., II, 1078.

31 — Ibid., II, 1079. The Council also contained members of the leftist labor group and the State Party (an extremist group which insisted openly on the establishment of the Jewish State in Transjordan as well as Palestine).

33 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 158.

34 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1078.

35 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 158.

36 — Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, II, 234. Apparently, the Inner General Council, which may be simply another name for the London or Palestine Executives, was the wartime policy-making headquarters of Zionism, while the Emergency Council was the operational headquarters.

الفصل السابع

1 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 142.

2 — Trial and Error, p. 418.

3 — See above, pp. 12-18.

4 — See above, pp. 56-57.

5 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 142.

6 — See the ESCO Foundation, op. cit., II, 945-947.

7 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 1942.

8 — Kird, The Middle East in the War, pp. 240-241.

9 — Trial and Error, p. 403.

10 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 143.

11 — Trial and Error, p. 436.

12 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, pp. 144, 215.

13 — Ibid, p. 208.

14 — Ibid, p. 144.

15 — Ibid, p. 208.

16 — Ibid.

17 — Lenczowski, op. cit., p. 272.

18 — Cohen, A Short History of Zionism, pp. 156-157.

19 — Kirk, The Middle East in the War, p. 231. The division was to have a flag of its own.

20 — Trial and Error, p. 424.

21 — Ibid, pp. 424-425.

22 — Ibid., p. 424.

23 — New Judaea, XVI (September, 1940), 192.

24 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1029-1032.

25 — Ibid., II, 1032.

26 — Kirk, The Middle East in the War, p. 321. The Brigade's creation was regarded by the Zionists as a proclamation of Israel.

27 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1032.

28 — Arthur Koestler, Promise and Fulfillment, Palestine, 1917-1949 (New York: Macmillan, 1949). pp. 83-84. On p. 335 Koestler states that he has long been a Zionist supporter.

29 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, pp. 205-205.

30 — Trial and Error, p. 436.

31 — Ibid.

32 — Kirk, The Middle East in the War, pp. 13-14, 234; alos, Kirk, A Short History of the Middle East, p. 210.

33 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 196.

34 — Kirk, The Middle East in the War, p. 229.

35 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 196.

36 — For a full description of this organization, see Jon and David Kimche, The Secret Road, The Forrestal Diaries (New York: Viking Press, (London: Secker and Warburg, 1955).

37 — See The ESCO Foundation, op. cit., II, 942-955.

38 — Ibid., II, 946.

39 — Trial and Error, p. 304.

40 — Kirk, The Middle East in the War, pp. 1314.

41 — Ibid., pp. 307-308.

42 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1036.

43 — Kirk, The Middle East in the War, p. 310.

44 — Koestler, op. cit., p. 12.

الفصل الثامن

1 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 144.

2 — Roosevelt, op. cit., p. 4.

3 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, pp. 209-210. This was in addition to its role in relation to the World Zonist Movement.

4 — Ibid., p. 210.

5 — Ibid., p. 144. The American Palestine Committee's initial membership included 67 Senators, 143 members of the House, and 12 governors.

6 — Ibd., p. 210.

7 — Kirk, The Middle East in the War, p. 330.

8 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 210.

9 — Elmer Berger, The Jewish Dilemma (New York: The Devin-Adair Co., 1946), p. 163.

10 — Ibid., p. 165.

11 — Ibid., p. 166.

12 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 210.

13 — Berger, op. cit., pp. 165-166.

14 — Alfred M. Lilienthal, What Price Israel (Chicago: Henry Regnery Co., 1953), p. 18.

15 — Ibid.

16 — Kirk, The Middle East in the War, p. 329, footnote.

17 — Berger, op. cit., p. 165.

18 — See below, pp. 92-93.

19 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 211.

20 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1088-1089.

21 — Ibid., II, 1091.

22 — Ibid., II, 1093-1094.

23 — The original principle of the Jewish Agency was the cooperation of Zionist and non-Zionist Jews in the work of assisting the Jewish community in Palestine. It was bi-partisan in

original intention.

24 — Kirk, The Middle East in the War, p. 247.

25 — Frank Charles Sakran, Palestine Dilemma, Arab Rights versus Zionist Aspirations (Washington, D.C.: Public Affairs Press, 1948), p. 168.

26 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 213.

27 — The ESCO Foundation, op. cit., II, 1115.

28 — Lenczowski, op. cit., p. 274.

29 — Sakran, op. cit., p. 169.

30 — Ibid.

31 — Ibid., p. 170.

32 — Ibid.

33 — Ibid., pp. 171-172.

34 — Ibid., pp. 172-173.

35 — Roosevelt, op. cit., p. 4.

36 — Trial and Error, p. 420.

37 — Ibid., p. 425.

38 — Ibid.

39 — Ibid., p. 431.

40 — Ibid., p. 435.

41 — See above, pp. 33-34.

42 — Kirk, The Middle East in the War, p. 314.

43 — See text in the ESCO Foundation, op.

44 — Kirk, The Middle East in the War, p. 328.

45 — Roosevelt, op. cit., p. 5.

1 — Kirk, The Middle East in the War, p. 327.

2 — Memoirs by Harry S. Truman (Garden City, N.Y.: Doubleday and Co., Inc., 1056-, II (Years of Trial and Hope), 132-133. Copyright held by Time, Inc.

3 — Ibid.

4 — Ibid., II, 133.

5 — David E. Hirsch, A Record of American Zionism (New York: Zionist Organization of America, 1956), p. 23. In July, 1945 Truman was urged to support Zonist aspirations through correspondence signed by nearly 300 members of Congress and 40 governors.

6 — Memoirs by Harry S. Truman, II, 138-139.

7 — Sakran, op. cit., p. 175.

8 — Memoirs by Harry S. Truman, II, 133.

9 — Ibid., II, 139-141.

10 — Roosevelt, op. cit., p. 11.

11 — Sakran, op. cit., p. 181.

12 — Memoirs by Harry S. Truman, II, 140.

13 — Ibid., II, 143-144.

14 — Ibid., II, 144-145.

15 — See above, p. 49.

16 — Morris L. Ernst, So Far So Good (New York: Harper and Brothers, 1948), pp. 176-177.

11 — Toynbee, op. cit., VIII, 307.

18 — Lilienthal, op. cit., p. 34.

19 — Roosevelt, op. cit., p. 12.

20 — Walter Millis and E.S. Duffield (eds.),

The Forrestal Diaries (New York: Viking Press, 1951), p. 304. In 1947, Truman told his Cabinet that he would make no statement on Palestine. He said he had stuck his neck out once (1945) and would not do it again.

21 — Ibid., pp. 188-189.

22 — Trial and Error, p. 440.

23 — Ibid.

24 — Ibid.

25 — See above, pp. 83-87.

26 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, pp. 253-255.

27 — Sakran, op. cit., p. 182, footnote.

28 — Forrestal Diaries, p. 180.

29 — See Bartley C. Crum, Behind the Silken Curtain, a Personal Account of Anglo-American Diplomacy in Palestine and the Middle East (New York: Simon and Schuster, 1947).

30 — The Zionists tried to offset the disadvantages for them in the Report by publicizing those recommendations favorable to Zonism and presenting them as the whole Report. Kirk, Short History of the Middle East, p. 213.

31 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, pp. 257-262.

33 — Sakran, op. cit., p. 186.

34 — Ibid.

35 — Ibid., p. 187.

36 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, p. 237.

37 — Abcarius, op. cit., p. 223.

38 — Palestine, Statement of Information re-

lating to Acts of Violence (Cmd. 6873, July 1946), p. 4. The Stern Group was an extremist offshoot of the Irgun Zvai Leumi.

39 — Kirk, A Short History of the Middle East, p. 210.

40 — Sakran, op. cit., p. 161.

41 — Kirk, A Short History of the Middle East, p. 210.

42 — Hurewitz, The Struggle for Palestine, pp. 238-239.

43 — Kirk, A Short History of the Middle East, p. 215.

44 — Lenczowski, op. cit., pp. 276-277, footnote.

45 — Kirk, A Short History of the Middle East, p. 215.

46 — Ibid., p. 216.

47 — This systematic Zionist selection of immigrants as it operated before the Second World War is described in Abraham Revusky, Jews in Palestine (New York: Bloch Publishing Co., 1945), pp. 220-221.

48 — Lenczowski, op. cit., pp. 276-277, footnote. It is significant that this underground, which is now acknowledged and described in detail in Jon and David Kimche's, The Secret Roads, was considered something to hide by Lehman.

49 — Kirk, A Short History of the Middle East, p. 216.

50 — The account given in The Secret Roads leaves no doubt as to the certainty of this sttatement.

51 — Sakran, op. cit., p. 189.
52 — Ibid., pp. 190-192.
53 — Memoirs by Harry S. Truman, II, 155.
54 — Trial and Error, p. 458.
55 — Ibid., p. 459.
56 — Roosevelt, op. cit., p. 14.
57 — Ibid., pp. 14-15.
58 — Forrestal Diaries, p. 346.
59 — Ibid.
60 — Ibid., pp. 357-358.
61 — Ibid., p. 346.
62 — Ibid., p. 358.
63 — Roosevelt, op. cit., p. 14.
64 — Memoirs by Harry S. Truman, II, 158.
65 — Ibid.
66 — Ibid.
67 — Ibid., II, 160.
68 — Ibid., II, 160-161.
69 — In spite of its irrelevacies and implications, the line of reasoning behind this appeal was never questioned by the President.
70 — Memoirs by Harry Truman, II, 164.
71 — Forrestal Diaries, p. 441.

خاتمة

1 — See The ESCO Foundation, op. cit., I, 93.
2 — Actually, less than twenty percent of world Jewry live in Israel. Not one percent of American Jewry has emigrated to Israel.
3 — Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, II, 48.

4 — Trial and Error, p. 290.

5 — Ibid., p. 289.

6 — State of Israel, Government Yearbook, 5713 (1952), p. 15.

7 — Ibid., 5716 (1955), p. 320. This quote from Ben Gurion is followed by two paradoxical assertions, one to the effect that the historical frontiers of Eretz Israel are fixed and given to the Jews since the beginning of time, and the other insisting that the State of Israel will honor its present boundaries. It is difficult to ascertain Ben Gurion's true feelings on this matter.

8 — State of Israel, Facts and Figures, 1955, pp. 18-20.

9 — David Ben Gurion, Israel, the Tasks Ahead (New York: Israel Office of Information, 1949), p. 4: «The establishment of the State of Israel was merely the first stage in the fulfillment of our historic vision... The ingathering of our exiles is the prerequisite to the realization of this great dream in its full human implications.» See also, David Ben Gurion (Selections (New York: Zionist Labor Organization of America, 1948), p. 75: «The promotion of Jewish immigration is not only the central task of the Jewish State — but the essential justification for its establishment and existence. »

10 — The Jerusalem Post, July 23, 1951, p. 1.

11 — Karl Baum, «Zionism, Diaspora and Israel,» Zionist Review, July 13, 1951, p. 10.

12 — The Jerusalem Post, August 17, 1951, p. 5.

13 — Ibid.

14 — State of Israel, Facts and Figures, 1955, pp. 17-19.

15 — As recently as the summer of 1957, Ben Gurion reasserted: «A Zionist must come to Israel himself as an immigrant ». See Time, August 26 1957, p. 55.

16 — The Jerusalem Post, July 23, 1951. p. 1.

مصادر الكتاب

١ – المصادر الاولية

Ben Gurion, David. Israel, the Tasks Ahead. New York: Israel Office of Information, 1949.

Crum, Bartley, C. Behind the Silken Curtain, a Personal Account of Anglo-American Diplomacy in Palestine and the Middle East. New York: Simon and Schuster, 1947.

David Ben Gurion. New York: Zionist Labor Organization of America, 1948.

Documents Relating of the Palestine Problem. London: The Jewish Agency for Palestine, 1945.

Ernst, Morris L. So Far So Good. New York: Harper and Brothers, 1948.

Goldmann, Nahum. The Genius of Herzl and Zionism Today. Jerusalem: Zionist Executive, 1955.

Herzl, Theodor. The Jewish State, an Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question. Translated by Sylvie D'Avigdor. New York : Scopus Publishing Co., 1943.

Hurewitz, Jacob C. Diplomavy in the Near and

Middle East, a Documentary Record, 2 vols. Princeton, N.J.: D. Van Nostrand Co., Inc., 1956.

Kisch, Frederick H. Palestine Diary. London: Victor Gollancz, Ltd., 1938.

Memoirs by Harry S. Truman. Vol. II (Years of Trial and Hope). Garden City, N.Y.: Doubleday and Co., Inc. 1956

Millis, Walter and Duffield, E. S. (editors). The Forrestal Diaries. New York: Viking Press, 1951.

Palestine, Statement of Information relating to Acts of Violence (Cmd. 6873, July 1946).

State of Israel. Facts and Figures, 1955.

State of Israel. Government Yearbook, 5713 (1952), 5716 (1955), 5718 (1957).

Stearns, Raymond P. Pageant of Europe: Sources and Selections from the Renaissance to the Present Day. New York: Harcourt, Brace and Co., Inc., 1947.

Temperley, Harold W. V. (editor). A History of the Peace Conference of Paris, Vol. VI. London: Henry Frowde and Hodder and Stoughton, 1924.

Trial and Error, the Autobiography of Chaim Weizmann. New York: Harper and Brothers, 1949.

٢ ــ المصادر الثانوية

الكتب

Abcarius, M. F. Palestine through the Fog of Pro-

paganda. London: Hutchinson and Co., N.D.
Andrews, Fannie Fern. The Holy Land under Mandate. 2 vols. Cambridge, Mass. : Houghton Mifflin Co., 1931.
Antonius, George. The Arab Awakening, the Story of the Arab National Movement. London: Hamish Hamilton, 1945.
Barbour, Nevill. Palestine: Star or Crescent. New York: Odyssey Press, 1947.
Berger, Elmer. The Jewish Dilemma. New York: The Devin-Adair Co., 1945.
Cohen, Israel. A Short History of Zionism. Londonê Frederick Muller, Ltd., 1951.
———————. The Zionist Movement. London: Frederick Muller, Ltd., 1945.
The ESCO Foundation for Palestine, Inc. Palestine, a Study of Jewish, Arab, and British Policies. 2 Vols. New Haven: Yale University Press, 1947.
Graves, Philip . Palestine, the Land of Three Faiths. London: Jonathan Cape, 1923.
Hirsch, David E. A Record of American Zionism. New York: Zionist Organization of America, 1956.
Hurewitz, Jacob C., The Struggle for Palestine. New York: W. W. Norton and Co., 1950.
Jastrow, Morris, Jr. Zionism and the Future of Palestine, the Fallacies and Dangers of Political Zionism. New York: The Macmillan Company, 1919.
Jeffries, Joseph M. N. Palestine : the Reality, London: Longmans, Green and Co., 1939.

Kimche, Jon and David. The Secret Roads, the «Illegal Migration of a People,» 1938-1948. London: Sacker and Warburg, 1955.

Kirk, George E. The Middle East in the War. London: Oxford University Press, 1953.

——————— A Short History of the Middle East from the Rise of Islam to Modern Times. London: Methuen, 1952.

Koestler, Arthur. Promise and Fulfillment, Palestine, 1917-1949. New York: The Macmillan Company, 1949.

Lenczowski, George. The Middle East in World Affairs. Ithaca, New York: Cornell Universitq Press, 1953.

Lilienthal, Alfred M. What Price Israel. Chicago: Henry Regnery Co., 1953.

Litvinoff, Barnet. Ben Gurion of Israel. London: Weidenfeld and Nicolson, 1954.

Loder, John De Vere. The Truth About Mesopotamia, Palestine and Syria. London: George Allen and Unwin, Ltd., 1923.

Newbigin, Bishop Lesslie. The Household of God. New York: Friendship Press, 1954.

Parkes, James William. A History of Palestine from 135 A.D. to Modern Times. London : Victor Gollancz, Ltd., 1949.

Pieters, Albertus. The Seed of Abraham, a Biblical Study of Israel, the Church, and the Jew. Grand Rapids, Michigan: Eerdmans Publishing Co., 1950.

Revusky, Abraham. Jews in Palestine. New York: Block Publishing Co., 1945.

Sakran, Frank Charles. Palestine Dilemma, Arab Rights versus Zionist Aspirations. Washington. D.C. : Public Affairs Press, 1948.

Sokolow, Nahum. History of Zionism 1600-1918. Vol. I. London: Longmans, Green and Co., 1919.

Sykes, Christopher. Two Studies in Virtue. New York: Alfred A. Knopf, 1953.

Toynbee, Arnold J. A. Study of History. Vol. VIII: London: Oxford University Press, 1954.

Weisgal, Meyer W. (editor). Chaim Weizmann, Statesman, Scientist and Builder of the Jewish Commonwealth. New York: Dial Press, 1944.

الصحف

Baum, Karl. « Zionism, Diaspora and Israel, » Zionist Review, July 13, 1951.

The Jerusalem Post, July 23, 1951, August 17. 1951.

New Judaæa, XVI (September. 1940).

Perlmann, Mosche. « Chapters of Arab-Jewish Social Studies, VI (April, 1944).

Roosevelt, Kermit. «The Partition of Palestine: a Lesson in Presure Politics, » Middle East Journal, January, 1948.

Time, August 26, 1957.

Weizmann, Chaim. « Palestine's Role in the Solution of the Jewish Problem.» Foreign Affairs, January, 1942.

فهرست

مقدمة		٥
الفصل الأول	: تكوين الأهداف والسياسة الصهيونية	١١
الفصل الثاني	: تصريح بلفور	٢١
الفصل الثالث	: الانتداب	٤٣
الفصل الرابع	: نمو الصهيونية السياسية	٥٩
الفصل الخامس	: الاستراتيجية الصهيونية في الثلاثينات	٦٩
الفصل السادس	: إعادة توجيه الصهيونية السياسية	٧٧
الفصل السابع	: السياسة الصهيونية في فلسطين وبريطانيا وقت الحرب	٩١
الفصل الثامن	: البحث الصهيوني عن الدعم الاميركي	١٠٧
الفصل التاسع	: صنع إسرائيل الحديثة	١٢١
خاتمة	: المهمة الباقية للصهيونية السياسية	١٤٥
هوامش		١٥٥

صدر حديثاً :

مذكراتي في العراق

١٩٢١ - ١٩٤١

أبو خلدون
ساطع الحصري

منشورات دار الطليعة - بيروت

هذا الكتاب

يدرس هذا الكتاب تاريخ الحركة الصهيونية (١٨٩٧ ١٩٤٧) . وهو ، بعد ان يعرض الاتصالات والملابسات التي احاطت بنشوء الحركة الصهيونية ، وسعيها لتحقيق اهدافها ، يصل الى نتيجة حاسمة : وهي ان « مطامح الصهيونية في التوسع الاقليمي » ليست « ضرباً من التخمين : فطوال تاريخ الحركة كانت هذه المطامح مكشوفة بوضوح ... »

إنه كتاب مفيد ، خاصة في هذه المرحلة من مراحل صراعنا مع الصهيونية العالمية وقاعدتها « اسرائيل » .

منشورات دار الطليعة - بيروت

الثمن : ٣٠٠ ق. ل.
٣٧٥ ق. س.